الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

# اسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث(1518.1830م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطّالب :
ـ هبري جلول

إشراف الأستاذ:
ـ أ.د سهيل جمال

لجنة المناقشة

| اسم و لقب الأستاذ | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| محدادي محمد | دكتور | غرداية | رئيسا |
| سهيل جمال | أستاذ | غرداية | مشرفا و مقررا |
| نواصر نصيرة | دكتور | غرداية | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 1447 .1448 هـ/2025 .2026م


بسم الله الرحمن الرحيم





# شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تطيب الدنيا إلاّ بذكره، ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوه، ولا الجنة إلاّ برؤيته.

والصّلاة والسّلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه نبيّنا وسيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين

يطيب لي أن أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والامتنان الاستاذ د. سهيل جمال, الذيكان لي عظيم الشّرف والحظ الوافر أن أنهل من علمهوأدبه الكثير، وأن أتعلم منه الصرامة والإتقان وكذا التواضع.

والذي أكرمني بأن كان سندًا أكاديميًا لي، وحريصًا متفانيًا على تصويب وتوجيه مذكرتي المتواضعة التي ما زادت رصانةً إلا بفضله، رفع الله قدركم ونفعنا بعلمكم أستاذي الفاضل.

كما لا يفوتني أن أتوجّه إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة، بأسمى عبارات الامتنان والتقدير، شاكرًا لهم تَكَبُّدهم عناء الاطلاع على مذكرتي المتواضعة ومناقشتها، وتشريفي بوضع بصمتهم فيها نقدًا وتنقيحًا، لتصير إلى صورة أكاديمية مقبولة، والذي أرجو صادقًا أن تكون سندًا لغيري من الطلبة في قادم السنوات.

ولي شرف كبير أن أستحضر جميع أساتذتي بجامعة غرداية ، وكلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، وكذا إداريها وعمالها، دون أن أنسى جميع طلبتها وكل من شاركني مجالس العلم بها، نفع الله بكم العباد والبلاد.

# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهم نبدأ، وبشرعك وحكمك نهتدي، وبهدي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم نقتدي.

ما سلكنا البدايات إلا بتيسيرك، وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقك، وما حققنا الغايات إلا بفضلك، فالحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية.

بكل حب وفخر وامتنان، يطيب لي أن أهدي هذا العمل المتواضع أمام رفعة النفوس الطيبة التي سأذكرها، متمنيًا صدقًا أن أكون قد أدخلت القليل من الفرح الذي أتمنى لهم منه أضعافًا مضاعفة.

إليك أمي، ومن غيرك يعتلي القمم ومن غيرك يسود القلب، إلى التي لها الفضل أولًا ودومًا، أمي، يا من رحلتِ قبل أن أريكِ ما كنتِ تنتظرينه، هذا العمل لكِ، وعنكِ، ومن أجلكِ. أُهديكِ هذه الصفحات وأنا أعلم أنكِ ترينها من هناك، رحمكِ الله رحمةً واسعة، وأسكنكِ أعلى الجنان وجعلكِ في روح وريحان يا أغلى الناس.

إلى عظيم شيبه ووقار السنين،

أبي، ذاك الشيب الأنيق، نعم السند وحسن الرفيق؛ ها أنا يا والدي على ما أردت لي، وبحرصك سأكمل الطريق، أمدّ الله من قوتك، وبارك فيك، ورزقك كل الفرح.

إلى الذين تلين بوجودهم قسوة الحياة، ومن يخطرون ببالي دومًا حين السجود في الصلوات، وحدكم وبكم أكتفي عن كل البشر؛

عائلتي، يا أغلى الدرر.

# قائمة

# المختصرات

# قائمة المختصرات

| الاختصار / الرمز | المعنى |
|---|---|
| م | ميلادي |
| هـ | هجري |
| ص | صفحة |
| ج | جزء |
| ط | طبعة |
| ع | عدد |
| مج | مجلد |
| د | دكتور |
| ت | تاريخ الوفاة |
| ASJP | المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (Algerian scirntific Journal Platform) |

# مقدمة



لا تُكتب التواريخ في فراغ، ولا يُولد المؤرخون بمعزل عن الواقع الذي أفرزهم وشكَّل توجهاتهم الفكرية؛ فكثيرًا ما انبثقت أعظم المشاريع التاريخية من قلب الأزمات الحضارية الكبرى، حين تجد الأمة نفسها أمام استحقاق وجودي مزدوج يتمثل، من جهة، في مواجهة الموروث الاستشراقي الذي سعى إلى تشويه صورتها الحضارية في الوعي الكوني، ومن جهة أخرى، في مقاومة الإغراءات الأيديولوجية الداخلية التي تعمل على توظيف التاريخ وتسخيره لخدمة الخطاب السياسي الآني بدل جعله أداة لبناء معرفة علمية راسخة ودائمة. وفي هذا السياق الحرج تحديدًا، عند تقاطع مرحلة الاستقلال الوطني بإشكاليات الهوية وإعادة بناء الذاكرة الجماعية، تبلور المشروع الفكري لمؤرخ جزائري استثنائي هو الأستاذ الدكتور محمد مولاي بلحميسي (1930–2009م.)

شهدت الجزائر، عقب نيل استقلالها، حراكًا فكريًا وأكاديميًا واسعًا، انخرط خلاله جيل من الباحثين والمؤرخين الجزائريين في مشروع إعادة بناء الذاكرة التاريخية الوطنية التي عمد الاستعمار الفرنسي إلى تشويهها وتحريف حقائقها طيلة أكثر من قرن وثلاثة عقود. وكان من أبرز التحديات التي واجهت هذا الجيل ضرورة التعامل مع إرث مزدوج من الضغوط الفكرية؛ يتمثل الأول في الرواية الكولونيالية التي أنكرت العمق الحضاري للمجتمع الجزائري وقللت من قيمة تاريخه، بينما تمثل الثاني في الخطاب الوطني الرسمي الذي كان يميل، في بعض الأحيان، إلى توظيف التاريخ توظيفًا أيديولوجيًا على حساب الموضوعية والصرامة العلمية. وفي ظل هذا السياق المعقد، اختار مولاي بلحميسي مسارًا مغايرًا، قائمًا على قناعة راسخة مفادها أن الرد الحقيقي على الطروحات الاستشراقية لا يتحقق عبر الرفض العاطفي أو الموقف الانفعالي، بل من خلال استخدام الأدوات المنهجية العلمية ذاتها لتفكيك تلك الأطروحات وإعادة بناء السردية التاريخية الجزائرية اعتمادًا على الوثائق الأصلية والمنهج العلمي الدقيق.

وتُعد الحقبة العثمانية من تاريخ الجزائر، الممتدة ما بين سنتي 1518م و1830م، من أكثر الفترات التاريخية التي تعرضت للتشويه والإقصاء في الكتابات الاستعمارية، فضلًا عن وجود قصور نسبي في بعض الكتابات الوطنية التي لم تمنح هذه المرحلة القدر الكافي من الدراسة المعمقة. ومن هنا تتجلى أهمية المشروع التاريخي الذي اضطلع به مولاي بلحميسي، والذي كرّس جانبًا كبيرًا من جهوده العلمية

لإعادة الاعتبار لهذه الحقبة التاريخية، وإثراء المعرفة المتعلقة بها عبر الاشتغال المنهجي الدقيق على المصادر الأصلية والوثائق والأرشيفات المتنوعة.

تأتي هذه الدراسة الموسومة بعنوان : « **إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (1518–1830م)** » ، بهدف تسليط الضوء على هذه الشخصية العلمية البارزة، ومحاولة الإجابة عن سؤال جوهري يستحق البحث والتحليل المعمق، يتمثل في معرفة طبيعة الإسهامات التي قدمها مولاي بلحميسي في مجال الكتابة التاريخية الجزائرية الخاصة بالعهد العثماني، والكشف عن الأسباب التي جعلت مشروعه التاريخي يتجاوز حدود التوثيق التقليدي ليصبح مدرسة منهجية قائمة بذاتها تستحق الدراسة والتحليل العلمي.

- **أولًا: حدود الدراسة**

تتحدد هذه الدراسة ضمن ثلاثة أبعاد مترابطة تشكل الإطار العام الذي ينظم حركة البحث ويحدد مجالاته الأساسية:

**أ– الحد الموضوعي:**

تنصب الدراسة على رصد الإسهامات العلمية والمنهجية للمؤرخ محمد مولاي بلحميسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، وذلك من خلال ثلاثة مستويات مترابطة؛ يتمثل أولها في دراسة سيرته الذاتية ومساره الأكاديمي الذي هيأه لهذا الدور المعرفي المتميز، ويتمثل ثانيها في تحليل مؤلفاته الأساسية، وعلى رأسها كتاب *تاريخ مازونة* وكتاب *تاريخ مستغانم* وأعماله المتعلقة بالتاريخ البحري الجزائري، أما المستوى الثالث فيتعلق بالدراسة التحليلية النقدية لمنهجه في الكتابة التاريخية، وما تضمنه من اعتماد على المنهج الوثائقي والمصادر الأصلية، إضافة إلى مقاربته النقدية للمفاهيم الاستعمارية المرتبطة بتاريخ الجزائر. ولا تتناول هذه الدراسة الحوادث التاريخية الجزائرية في ذاتها، بقدر ما تتخذ من منهج بلحميسي في تأريخه لها موضوعًا رئيسيًا للدراسة.

**ب– الحد المكاني:**

يدور محور البحث حول الجزائر باعتبارها المجال الجغرافي والحضاري المركزي للدراسة، مع الانفتاح الضروري على محيطها المغاربي والمتوسطي، الذي يصعب تجاهله بالنظر إلى طبيعة التاريخ البحري

الذي أولاه بلحميسي اهتمامًا بالغًا؛ إذ لا يمكن فهم تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني فهمًا دقيقًا بمعزل عن امتداداته المتوسطية وتشابكاته مع العالمين الإسلامي والأوروبي على حد سواء.

**ج- الحد الزماني:**

تمتد الدراسة بين سنتي 1518م و1830م، وهما تاريخان يحملان دلالات تاريخية عميقة؛ فالسنة الأولى تمثل المرحلة التي دخلت فيها الجزائر ضمن المجال السياسي للدولة العثمانية، وبدأت معها مرحلة تشكل الكيان السياسي والحضاري الجزائري في الفضاء المتوسطي، في حين يمثل عام 1830م اللحظة المفصلية التي أنهى فيها الاحتلال الفرنسي تلك المرحلة التاريخية، وحوّلها إلى ماضٍ تاريخي أصبح من الضروري استعادته وإعادة قراءته انطلاقًا من الوثائق والأرشيفات الأصلية.

- **ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع**

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى مجموعة من الاعتبارات الذاتية والموضوعية المتداخلة، والتي يمكن توضيحها على النحو الآتي:

يُعد مولاي بلحميسي واحدًا من أبرز أعلام المدرسة التاريخية الجزائرية في مرحلة ما بعد الاستقلال، غير أن إنتاجه الفكري ومنهجه التاريخي لم يحظيا بالدراسة الأكاديمية المستقلة التي تركز على شخصيته ومشروعه العلمي بصورة مباشرة؛ إذ إن معظم الدراسات السابقة اكتفت بالإشارة إليه ضمن أبحاث أوسع تناولت تاريخ المغرب العربي أو التاريخ البحري الجزائري، دون تخصيص دراسة مستقلة تتناول مشروعه العلمي باعتباره نموذجًا جديرًا بالبحث والتحليل في حد ذاته.

إضافة إلى ذلك، تبرز ضرورة علمية تتمثل في إعادة الاعتبار للحقبة العثمانية من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة تعرضت لكثير من التشويه التاريخي، سواء من خلال الإقصاء المتعمد أو من خلال المعالجة السطحية والناقصة، الأمر الذي يجعل دراسة نموذج بلحميسي في تناوله لهذه الحقبة تكتسب أهمية مضاعفة؛ فهي من جهة دراسة لمؤرخ بارز، ومن جهة أخرى إسهام في إعادة إبراز مرحلة تاريخية غنية لا ينبغي أن تبقى بعيدة عن دائرة الاهتمام الأكاديمي الجزائري.

كما يضاف إلى ذلك تنامي الوعي بأهمية دراسة مناهج المؤرخين أنفسهم، وليس فقط دراسة إنتاجهم العلمي؛ لأن المنهج يمثل جوهر الإسهام العلمي الحقيقي، وهو العنصر الذي يتجاوز الزمن وينتقل تأثيره إلى الأجيال اللاحقة من الباحثين بصورة أعمق وأكثر استمرارية من مجرد المعلومات والوقائع التاريخية.

ومن بين الأسباب الذاتية كذلك، الرغبة الصادقة في المساهمة في مجال التأريخ للمؤرخين الجزائريين الكبار الذين أسهموا في بناء أسس الكتابة التاريخية الوطنية في مرحلة تاريخية دقيقة، والعمل على التعريف بأعلام الفكر التاريخي الجزائري وإبراز مكانتهم العلمية على نطاق أكاديمي أوسع.

- **ثالثًا: الإشكالية والأسئلة الفرعية**

**الإشكالية الأساسية:**

تتمحور هذه الدراسة حول الإشكالية الرئيسة الآتية:

**ما إسهامات المؤرخ محمد مولاي بلحميسي في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني؟**

**الأسئلة الفرعية:**

تنبثق عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من التساؤلات الفرعية التي تُشكّل مجتمعة الإطار الموجّه لمسار البحث في مختلف فصوله، ويمكن صياغتها على النحو الآتي:

- كيف أسهمت ظروف نشأة مولاي بلحميسي وتكوينه الأكاديمي المزدوج، العربي والغربي، في تشكيل رؤيته المنهجية وتوجهاته البحثية في مجال الكتابة التاريخية؟
- وما طبيعة إسهاماته في تدوين التاريخ المحلي الجزائري من خلال مؤلفاته الأساسية؟
- وما الإضافات العلمية الجديدة التي قدمها على مستوى المصادر والمناهج والتفسير التاريخي؟
- وكيف تعامل بلحميسي مع ملف التاريخ البحري الجزائري خلال الحقبة العثمانية؟
- وكيف وظّف الأرشيفات الأوروبية والوثائق الجزائرية المتنوعة في بناء سرديته التاريخية البديلة؟
- وما موقفه النقدي من المفاهيم الاستعمارية المترسخة، وعلى رأسها مصطلح «القرصنة»؟
- وكيف سعى إلى تفكيكها واستبدالها بمفاهيم أكثر دقة وموضوعية علمية؟

- ثم ما مدى تأثير مشروعه المنهجي في الأجيال اللاحقة من المؤرخين الجزائريين؟
- وما مكانته ضمن المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة؟

○ **رابعًا: شرح خطة البحث**

نظرًا لطبيعة الموضوع وتشعب أبعاده المختلفة، فقد اقتضت الدراسة اعتماد خطة منهجية تقوم على ثلاثة فصول رئيسية، يكمّل كل فصل منها الآخر، وتسير جميعها نحو تحقيق الإجابة الشاملة عن الإشكالية المطروحة.

**الفصل الأول: السيرة الحياتية والمسار الأكاديمي لمولاي بلحميسي**

يتناول هذا الفصل الجوانب الحياتية والتكوينية للمؤرخ الدكتور محمد مولاي بلحميسي، باعتبارها مدخلًا أساسيًا لفهم مشروعه التاريخي؛ حيث يتم تتبع مسار نشأته منذ مولده سنة 1930م بمدينة مازونة بمنطقة الظهرة، وهي البيئة الثقافية التي أسهمت في تشكيل حسه التاريخي المحلي، مرورًا بمراحل تكوينه الأولى في الكتاتيب القرآنية والمدارس الفرنسية التي عكست طبيعة التناقضات الثقافية التي عاشها المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار، ثم انتقاله إلى الدراسة بجامعتي الجزائر وإيكس أون بروفانس، وصولًا إلى حصوله على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة بوردو الثالثة سنة 1986م. كما يبرز هذا الفصل بصورة خاصة كيف أن الثنائية الثقافية التي عاشها بلحميسي لم تتحول إلى مصدر للانقسام المعرفي، بل أصبحت عنصرًا منهجيًا مميزًا مكّنه من التعامل مع المصادر العربية والأوروبية بكفاءة متوازنة ورؤية نقدية دقيقة، وهو ما منحه قدرة تحليلية استثنائية قلّما تتوافر لدى الباحثين ذوي التكوين الأحادي.

**الفصل الثاني: إسهامات مولاي بلحميسي في تدوين التاريخ المحلي والبحري للجزائر**

يتوقف هذا الفصل عند المنجز العلمي لمولاي بلحميسي من خلال دراسة أعماله الكبرى دراسة وصفية تحليلية معمقة. ويولي اهتمامًا خاصًا لكتاب «تاريخ مازونة»، الذي اعتمد فيه على نوازل الفقه الإسلامي باعتبارها مصدرًا أوليًا غير مسبوق لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، مبرزًا من خلال ذلك أن الوثيقة الفقهية ليست نصًا دينيًا فحسب، بل تمثل مرآة لحياة اجتماعية متكاملة. كما يتناول الفصل تجربته في كتاب «تاريخ مستغانم»، الذي درس من خلاله البعد الحضاري للمدينة الساحلية إلى جانب دورها العسكري، متجاوزًا بذلك النظرة العسكرية الضيقة التي كرّسها المؤرخون

الكولونياليون. ثم يتطرق الفصل إلى جهوده الأرشيفية الكبيرة التي امتدت لأكثر من عشر سنوات داخل مكتبات فرنسا وأوروبا، وأثمرت مجموعة من الدراسات المتعلقة بالتاريخ البحري الجزائري في العهد العثماني (1518–1830م)، والتي أسهمت في تصحيح كثير من المغالطات وسد ثغرات واسعة في السردية التاريخية الجزائرية.

**الفصل الثالث: دراسة تحليلية لمنهج بلحميسي في الكتابة التاريخية**

يُخصص هذا الفصل لدراسة المنهج الذي اعتمده بلحميسي في كتاباته التاريخية من منظور نقدي موضوعي، متجاوزًا مجرد الوصف التوثيقي نحو التحليل المعرفي العميق. ويعرض الفصل مجموعة من النماذج التطبيقية، من بينها تحقيقه لمخطوط وثائق محرقة الظهرة، ومعالجته لمفهوم «الجهاد البحري» من خلال منظومة حجاجية ووثائقية متماسكة، فضلًا عن نقده الصارم لمصطلح «القرصنة» الذي فرضته الكتابات الاستشراقية بوصفه بديلًا محايدًا لأبعاد الظاهرة الحضارية والسياسية. كما يعمل الفصل على تقييم ما أثاره مشروع بلحميسي من نقاشات مصطلحية داخل الوسط الأكاديمي، إضافة إلى دراسة الملاحظات المنهجية التي سجلها بعض الباحثين، بما يضمن تقديم تقييم علمي متوازن بعيد عن الإطراء المطلق أو النقد غير الموضوعي، وهو ما يشكل الغاية الأساسية لكل بحث أكاديمي جاد.

- **خامسًا: أهمية الدراسة وأهدافها**

**أولًا: الأهمية**

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من جوانب متعددة ومترابطة؛ فمن الناحية العلمية تنتمي إلى مجال التأريخ للمؤرخين، وهو أحد أرقى مجالات البحث التاريخي وأكثرها حساسية، لأنه لا يقتصر على دراسة الوقائع التاريخية في حد ذاتها، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة الأدوات المعرفية التي يتم من خلالها فهم تلك الوقائع وتحليلها. ومن الناحية المنهجية، توفر هذه الدراسة نموذجًا تطبيقيًا للباحثين في مجال التاريخ الجزائري حول كيفية التعامل مع مصادر متنوعة وبناء قراءة تاريخية نقدية متماسكة. أما من الناحية التوثيقية، فهي تسهم في حفظ الإرث الفكري لمؤرخ بارز يستحق أن يكون حاضرًا ضمن مناهج البحث التاريخي الجزائري، وأن تستفيد من تجربته العلمية الأجيال القادمة. وعلى مستوى

المعرفة التاريخية، تمثل الدراسة إسهامًا في إعادة استجلاء تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية التي لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات الأكاديمية الرصينة.

**ثانيًا: الأهداف**

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المحددة التي تعكس قيمتها المعرفية وجدوى إنجازها، وتتمثل أساسًا في رصد السيرة الحياتية والمسار الأكاديمي لمولاي بلحميسي في سياقه التاريخي والثقافي، وتحليل إسهاماته في التاريخ المحلي والبحري الجزائري تحليلًا وصفيًا ونقديًا، والكشف عن الخصائص المنهجية التي اعتمدها في تعامله مع تعدد المصادر واختلاف اللغات، إضافة إلى تقييم مكانته ضمن المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة، وبيان طبيعة تأثيره في الأجيال اللاحقة من الباحثين، فضلًا عن إبراز القيمة العلمية لإسهاماته في مجال نقد المفاهيم الاستعمارية واقتراح بدائل مفهومية أكثر دقة وملاءمة علمية.

- **سادسًا: الدراسات السابقة**

لا يخلو مجال البحث الأكاديمي من إشارات معتبرة إلى المكانة العلمية التي يحتلها مولاي بلحميسي، غير أن الدراسات التي تناولت شخصيته ومشروعه التاريخي بصورة مستقلة ومتمحورة حوله بشكل مباشر ما تزال محدودة ونادرة نسبيًا. ويمكن إجمال أبرز الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع على النحو الآتي:

**الدراسات المتعلقة بتاريخ الجزائر في الحقبة العثمانية:**

توجد مجموعة من الدراسات البارزة التي تناولت تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من زوايا متعددة، ومن بينها أعمال المؤرخ عبد القادر جغلول المتعلقة بالتكوين الاجتماعي الجزائري، إضافة إلى أعمال أحمد توفيق المدني التي أسهمت في رسم الإطار العام للوجود العثماني في الجزائر. غير أن هذه الدراسات ركزت أساسًا على دراسة المرحلة التاريخية في حد ذاتها، دون التطرق إلى المنهج الذي اعتمده مولاي بلحميسي في معالجتها وتحليلها.

**الدراسات المتعلقة بالمؤرخين الجزائريين في مرحلة ما بعد الاستقلال:**

تناول عدد من الباحثين الجيل الأول من المؤرخين الجزائريين بعد الاستقلال ضمن دراسات نقدية أشمل، ومن ذلك دراسة ليلى صباغ الدرويش المتعلقة بمسألتي الوطنية والمحلية في الكتابة التاريخية الجزائرية، والتي أشارت إلى مولاي بلحميسي باعتباره أحد المؤرخين الذين فرضوا حضورًا علميًا متميزًا. غير أن هذه الدراسات تناولته غالبًا ضمن إطار جماعي عام، ولم تخصص له دراسة مستقلة تتناول مشروعه العلمي بصورة منفردة.

**الدراسات المتعلقة بشخصية مولاي بلحميسي تحديدًا:**

أشار الباحث أحمد رنيمة إلى شخصية مولاي بلحميسي في مقالته المعنونة بـ «مولاي بلحميسي (1930–2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر»، والمنشورة في مجلة *عصور الجديدة*، العدد الرابع سنة 2015م، حيث قدمه باعتباره نموذجًا للمؤرخ الجزائري المتفرد في مجال الدراسات البحرية والتاريخية. كما تناولته دراسة نور الدين بلعربي من خلال قراءة منهجية في الكتابة التاريخية عند بلحميسي عبر رحلاته المغاربية. وعلى الرغم من أهمية هذه المساهمات العلمية، فإنها لا ترقى إلى مستوى الدراسة المنهجية الشاملة التي تجمع بين دراسة مساره العلمي وتحليل منهجه التاريخي في آن واحد.

ومن خلال ذلك يتضح أن هذه الدراسة تسعى إلى سد فراغ بحثي حقيقي داخل المكتبة التاريخية الجزائرية، إذ تتميز بجمعها بين التأريخ للمؤرخ ودراسة منهجه العلمي ضمن إطار بحثي مستقل ومتكامل.

- **سابعًا: المناهج المتبعة**

نظرًا للطبيعة المركبة للموضوع، باعتباره يجمع بين دراسة الشخصية، والمنهج، والمنجز العلمي، فقد استدعى البحث توظيف مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة، التي يسهم كل واحد منها في معالجة جانب من جوانب الإشكالية المطروحة.

**أ- المنهج التاريخي:**

يُعد المنهج التاريخي الركيزة الأساسية لهذه الدراسة، حيث يتم توظيفه في تتبع المسار العلمي والفكري

لمولاي بلحميسي ضمن سياقه الزمني والتاريخي، وفهم الظروف السياسية والثقافية التي أسهمت في تشكيل مشروعه التأريخي وتحديد مساره المعرفي.

**ب- المنهج البيوغرافي (السيرياتي):**

يُوظف هذا المنهج أساسًا في الفصل الأول من الدراسة لتحليل حياة المؤرخ وتكوينه ومساره الأكاديمي، انطلاقًا من القناعة العلمية التي ترى أن فهم الإنتاج المعرفي لأي باحث يقتضي بالضرورة فهم الشخصية المنتجة لهذا الفكر ضمن سياقها الإنساني والاجتماعي والفكري.

**ج- المنهج التحليلي النقدي:**

يمثل هذا المنهج العمود الفقري للدراسة، خاصة في الفصلين الثاني والثالث، إذ يتيح تحليل الأعمال العلمية التي أنجزها مولاي بلحميسي وتقييمها تقييمًا موضوعيًا بعيدًا عن المبالغة في الإشادة أو الوقوع في النقد المجرد، مع الكشف عن خصائصها المنهجية وقيمتها العلمية، ورصد ما تتضمنه من عناصر القوة ومواطن القصور.

**د- منهج تحليل الخطاب التاريخي:**

يُستعان بهذا المنهج في دراسة الكيفية التي بنى بها مولاي بلحميسي خطابه التاريخي، وصاغ من خلالها مفاهيمه ومصطلحاته العلمية، مع مقارنتها بالخطاب الاستشراقي الذي عمل على نقده والرد عليه، إضافة إلى تتبع الآليات الحجاجية والاستدلالية التي استخدمها في تفكيك المفاهيم الكولونيالية واستبدالها بمفاهيم أكثر دقة وموضوعية.

**هـ- المنهج المقارن:**

يُوظف هذا المنهج عند إجراء المقارنات بين منهج مولاي بلحميسي ومناهج مؤرخين آخرين من جيله أو من الأجيال السابقة، بهدف تحديد خصوصية إسهامه العلمي والكشف عن العناصر التي تميز مشروعه التاريخي مقارنة بما سبقه من كتابات تاريخية في المجال ذاته.



- **ثامنًا: دراسة نقدية للمصادر والمراجع**

اعتمدت هذه الدراسة على منظومة متنوعة من المصادر والمراجع، يمكن تصنيفها وتقييمها نقديًا وفق الآتي:

**أولًا: المصادر الأولية للدراسة**

وتتمثل في المؤلفات والأعمال العلمية التي أنجزها مولاي بلحميسي نفسه، وهي مصادر أساسية لا غنى عنها باعتبارها تمثل موضوع الدراسة ذاته. وتشمل مؤلفاته الكبرى، مثل *تاريخ مازونة* و*تاريخ مستغانم*، إضافة إلى سلسلة أعماله المتعلقة بالتاريخ البحري الجزائري، فضلًا عن مقالاته المنشورة في المجلات العلمية المحكمة ومشاركاته في الندوات الأكاديمية. ويلاحظ أن هذه المصادر صدرت خلال فترات زمنية مختلفة وبأكثر من لغة، الأمر الذي يستوجب دقة كبيرة في القراءة والاستيعاب.

**ثانيًا: المراجع الثانوية المتعلقة بالشخصية والمنهج**

وتشمل الدراسات والمقالات التي تناولت مولاي بلحميسي أو استندت إلى أعماله العلمية، ومن بينها دراسة أحمد رنيمة ودراسة نور الدين بلعربي المذكورتان سابقًا، إلى جانب دراسة فوزية لزغم المتعلقة بمساهمة بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية. وقد أسهمت هذه المراجع في توسيع زاوية النظر إلى المشروع البلحميسي وتقديم قراءات متعددة له، وإن تفاوتت من حيث العمق والتحليل.

**ثالثًا: المراجع المتعلقة بتاريخ الجزائر في الحقبة العثمانية**

تم الاعتماد على هذه المراجع لفهم السياق التاريخي العام الذي كتب في إطاره مولاي بلحميسي، ومن أبرزها أعمال عبد القادر جغلول المتعلقة بالتكوين الاجتماعي الجزائري، وأعمال أبو العيد دودو حول الوجود العثماني، بالإضافة إلى عدد من الدراسات الفرنسية مثل أعمال برنار روجيه وغيرها. وينبغي التعامل مع بعض هذه المراجع بحذر نقدي، نظرًا لما تحمله بعض الكتابات الأجنبية من توجهات استشراقية، وهو ما يجعل نقدها وتحليلها جزءًا أساسيًا من صلب الموضوع.

**رابعًا: المراجع المنهجية العامة**

وتشمل المؤلفات المرتبطة بفلسفة التاريخ ومناهج البحث التاريخي، وعلى رأسها كتاب مارك بلوك

*دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ*، إضافة إلى كتاب إدوارد هاليت كار *ما هو التاريخ؟*، وهي مراجع أساسية لفهم الخلفية المنهجية التي يمكن من خلالها قراءة مشروع مولاي بلحميسي وتحليله علميًا.

- **تاسعًا: صعوبات البحث**

واجهت هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات التي رافقت مختلف مراحل إنجازها، وتجدر الإشارة إليها لما تضفيه من شفافية علمية على البحث، باعتبار أن طبيعة الصعوبات نفسها تسهم في إبراز خصوصية الموضوع وحدود الدراسة.

تتمثل أولى هذه الصعوبات في ندرة الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تناولت شخصية مولاي بلحميسي بصورة مستقلة؛ إذ يلاحظ شحّ المؤلفات المتكاملة داخل المكتبة الجزائرية التي خُصصت لتحليل مشروعه الفكري والمعرفي، فضلًا عن أن أغلب ما كُتب عنه ورد في هوامش بعض الكتب أو ضمن مقالات متفرقة، الأمر الذي فرض ضرورة القيام بجهد بحثي وأرشيفي دقيق ومكثف من أجل جمع المادة العلمية المطلوبة من مصادر متباعدة ومتنوعة.

أما الصعوبة الثانية، فتتجسد في تعدد اللغات التي كتب بها مولاي بلحميسي أو اعتمد عليها في أبحاثه؛ فقد ألّف باللغة العربية والفرنسية على حد سواء، كما استند في بعض أعماله إلى وثائق إسبانية وإيطالية، وهو ما يجعل الإحاطة الشاملة بمشروعه العلمي مرتبطة بامتلاك كفاءة لغوية متعددة، وهي مسألة يصعب توفرها بصورة كاملة لدى الباحث الواحد.

وتبرز صعوبة ثالثة تتمثل في إشكالية تقييم أعمال مولاي بلحميسي تقييمًا نقديًا موضوعيًا دون الوقوع في أحد طرفي المبالغة؛ سواء من خلال الإطراء المفرط أو النقد غير المنصف، خاصة أن الرجل يتمتع بحضور أكاديمي وعلمي معتبر، الأمر الذي قد يضع الباحث أمام تحدي المحافظة على التوازن العلمي والحياد المنهجي المطلوب.

ويضاف إلى ما سبق صعوبة منهجية أخرى تتمثل في ضرورة التمييز الدقيق بين ما يمثل خصوصية منهجية مرتبطة بمشروع مولاي بلحميسي نفسه، وبين ما يعد مشتركًا بينه وبين جيل المؤرخين

الجزائريين الذين عاصروه في المرحلة ذاتها، وهو أمر يستوجب إلمامًا واسعًا بالمشهد التاريخي والفكري الجزائري العام، وليس الاكتفاء بدراسة مشروع بلحميسي فقط.

- **عاشرًا: التوصيات**

في ختام هذه المقدمة، وانطلاقًا من موقع الباحث الذي اضطلع بمهمة الاشتغال على هذا الموضوع بقدر من الجدية والتأمل العلمي، يرى البحث أن هناك مجموعة من التوصيات العلمية التي يجدر طرحها من أجل توجيه الاهتمام الأكاديمي نحو مجالات لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

- توصي هذه الدراسة بضرورة تخصيص بحوث علمية مستقلة تُعنى بتحقيق وتحليل الأعمال غير المنشورة، أو تلك التي لم تنل حظها الكامل من النشر، ضمن إنتاج مولاي بلحميسي، لا سيما الأعمال المرتبطة بالأرشيفات الأوروبية التي اشتغل عليها خلال مسيرته العلمية. كما تدعو إلى إدراج نماذج من منهجه العلمي ضمن مقررات تاريخ المغرب العربي الحديث في الجامعات الجزائرية، باعتبار أن مشروعه يمثل نموذجًا بيداغوجيًا مهمًا في كيفية التعامل النقدي والمنهجي مع المصادر التاريخية المتعددة.
- وتوصي الدراسة كذلك بضرورة تنظيم ملتقيات وندوات أكاديمية دورية تُعنى بإحياء إرث المدرسة التاريخية الجزائرية في مرحلة ما بعد الاستقلال، خاصة أن أسماء علمية بارزة، مثل مولاي بلحميسي وغيره، ما تزال عرضة لنوع من التهميش أو النسيان النسبي الذي لا ينسجم مع قيمة ما قدموه من إسهامات علمية رائدة.
- كما تؤكد الدراسة أهمية العمل على ترجمة مؤلفات مولاي بلحميسي المكتوبة باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، حتى تصبح متاحة أمام شريحة أوسع من القراء والباحثين الجزائريين الذين لا تسمح لهم قدراتهم اللغوية بالاطلاع المباشر على إنتاج مؤرخ كتب عن تاريخ الجزائر وأسهم في إعادة قراءة جزء مهم من ذاكرتها التاريخية.
- وأخيرًا، توصي الدراسة بضرورة توسيع دائرة البحث الأكاديمي المتعلق بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، مع اعتبار مشروع مولاي بلحميسي نقطة انطلاق علمية مهمة، لا نقطة نهاية، وإدراك

أن الآفاق البحثية التي فتحها هذا المؤرخ الكبير ما تزال تحتاج إلى باحثين يواصلون تعميقها وتطويرها، اعتمادًا على أدوات منهجية أكثر حداثة وتطورًا، بما يسهم في تجديد المعرفة التاريخية الوطنية وإثرائها بصورة مستمرة.

# الفصل الأول

## السيرة الحياتية والمسار الأكاديمى لمولاي بلحميسي

يُعدّ التعرف على السيرة الحياتية للمؤرخين والباحثين مدخلاً منهجياً أساسياً لتحليل إنتاجهم العلمي وتقييم إسهاماتهم في الحقل الأكاديمي الذي اختصوا في هذا المبدأ ليس وليد الدراسات الحديثة، بل يمتد جذوره إلى التراث النقدي الإسلامي الكلاسيكي الذي أولى عناية فائقة لـ"**علم الرجال**" و"**نقد السند**"، إذ كان العلماء المسلمون يدركون أن موثوقية الرواية لا تنفصل عن موثوقية الراوي وسياقه الحياتي وقد طوّر المؤرخ الفرنسي مارك بلوك هذه الفكرة في كتابه التأسيسي "**دفاع عن التاريخ**" حين أكد أن المؤرخ ليس كائناً محايداً يستقبل الوقائع بعقل مجرّد من كل تأثير، بل هو ابن عصره ومجتمعه وتجاربه الشخصية، وأن فهم هذه الأبعاد شرط مسبق لتقييم إنتاجه العلمي بصورة صحيحة[1]، وقد ذهب في الاتجاه ذاته المؤرخ البريطاني إدوارد كار في مؤلفه الشهير "**ما هو التاريخ؟**" حين طالب القارئ قبل قراءة أي كتاب تاريخي أن يدرس أولاً المؤرخ الذي كتبه، وأن يفهم الظروف الاجتماعية والسياسية التي أحاطت به، لأن "**التاريخ حوار متواصل بين الحاضر والماضي**"، والمؤرخ هو الوسيط الحي لهذا الحوار.[2]

في هذا السياق المنهجي، يكتسب التعريف بالمؤرخ الجزائري البروفيسور "**محمد مولاي بلحميسي**"(**1930–2009م**) أهمية مضاعفة ومتميزة فهو ليس مجرد أكاديمي أنتج كتباً وأطروحات، بل هو مشروع فكري متكامل وُلد في رحم التحدي الاستعماري، ونضج في خضم مسار تكويني استثنائي، وأثمر عن مدرسة تاريخية جزائرية مستقلة أعادت تعريف منهجية البحث في تاريخ الجزائر الحديث خلال الفترة العثمانية (**1518–1830م**)، وقد أشار الباحث أحمد رنيمة إلى أن بلحميسي يمثل "**نموذجاً فريداً للمؤرخ الجزائري الذي استطاع أن يوظّف التكوين الأكاديمي الغربي في خدمة المشروع التاريخي الوطني دون أن يذوب فيه أو يُستلَب له**"[3]، وهو توصيف يلخّص بدقة المعادلة الصعبة التي أتقنها بلحميسي خلال مسيرته.

---

1 مارك بلوك، دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة: أحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010م، ص 43-47.

2 إدوارد هاليت كار، ما هو التاريخ؟، ترجمة: بيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م، ص 38-42.

3 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (1930-2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مجلة عصور الجديدة، العدد 3-4، 2015م، ص 289.

وتتضاعف أهمية هذه الدراسة السيرية حين ندرك الظرف التاريخي الحرج الذي وُلد فيه مولاي بلحميسي وترعرع. فسنة 1930م ليست سنة عادية في تاريخ الجزائر؛ إذ تمثل سنة الاحتفالات الفرنسية بـ"مئوية الاحتلال"، حيث كانت فرنسا تُعلن بكل صلافة استمرار مشروعها الاستعماري وتدّعي أبديته، في حين كان الجزائريون يعيشون قهرًا مزدوجًا: قهر الاحتلال المادي، وقهر التشويه التاريخي الذي حوّلهم في الأدبيات الأكاديمية الاستعمارية إلى شعب بلا تاريخ يستحق الكتابة عنه.[1]، ومن رحم هذا التناقض الصارخ خرج المؤرخ الذي سيُكرّس حياته لردّ الاعتبار للذاكرة التاريخية الجزائرية بأدوات العلم لا بمجرد الخطاب.

وتجدر الإشارة إلى أن جيل المؤرخين الجزائريين الذين ظهروا في مرحلة ما بعد الاستقلال واجه تحديًا معرفيًا مزدوجًا غير مسبوق؛ فمن جهة، كانت المكتبة التاريخية الموروثة عن الحقبة الاستعمارية مثقلةً بالتحيزات الكولونيالية التي صوّرت الجزائر في العهد العثماني بصورة سلبية ومشوّهة، ومن جهة أخرى، كانت الدولة الجزائرية الحديثة الاستقلال تمارس ضغوطًا أيديولوجية تدفع نحو توظيف التاريخ في خدمة الخطاب الوطني الرسمي. وقد رفض مولاي بلحميسي كلا المسارين، واختار طريقًا أكثر صعوبة ونبلًا، يتمثل في الالتزام بالموضوعية العلمية القائمة على الوثيقة لا على الأيديولوجيا، وهو ما يؤكده الباحث محمد بليل حين يصفه بأنه من الأساتذة الذين عملوا في مجال التاريخ بصمت وهدوء، معتمدين على الموضوعية التاريخية والنقد العلمي الإيجابي من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية النسبية."[2].

يهدف هذا الفصل إلى تتبع مسار **بلحميسي** العلمي والأكاديمي منذ نشأته الأولى وحتى وفاته، وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسية: أولها يتناول نشأته الاجتماعية وتكوينه الأولي في مدينة

1 شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: أبو العيد دودو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 112-120.

2 محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني، قراءة في بعض مؤلفاته، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 12.

مازونة ، وثانيها يعالج تكوينه الجامعي وشهاداته العليا في الجزائر وفرنسا ، وثالثها يستعرض حياته المهنية ونشاطه العلمي في التدريس والبحث والمناصب.

## المبحث الأول: النشأة والتكوين العلمي الأولي.

تُعتبر مرحلة النشأة والتكوين الأولي من أهم المراحل في حياة أي مفكر أو عالم، إذ تتشكل خلالها ملامح شخصيته، وتتبلور توجهاته الفكرية، وتتأسس القواعد المعرفية التي ستوجّه مسيرته المستقبلية. وفي السياق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية، كانت هذه المرحلة أكثر تعقيدًا وصعوبة، حيث واجه الجزائريون تحديات جسيمة في الحصول على التعليم والحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية في ظل سياسات الفرنسة والإقصاء التي مارستها الإدارة الاستعمارية. وقد أولى المؤرخون الجزائريون المعاصرون الذين اشتغلوا على تاريخ التعليم في الجزائر الاستعمارية أهمية بالغة لهذه المسألة؛ إذ يؤكد أبو القاسم سعد الله في موسوعته *تاريخ الجزائر الثقافي* أن السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر كانت مصممة بوعي كامل للإبقاء على الجزائريين في دائرة التبعية المعرفية..[1]

والواقع أن التناقض العميق الذي عاشه الطفل الجزائري في ظل الاستعمار لم يكن تناقضًا بين نظامين تعليميين فحسب، بل كان تناقضًا بين هويتين وعالمين: عالم الكتّاب القرآني، حيث تتشكل الذاكرة العربية الإسلامية الأصيلة، وعالم المدرسة الفرنسية، حيث كانت تُقدَّم فرنسا بوصفها "الوطن الأم" لأطفال يعيشون قهرها يوميًا. وقد أدرك بعض المفكرين الجزائريين هذا التناقض وعبّروا عنه بوضوح؛ إذ يشير محمد البشير الإبراهيمي في هذا السياق إلى أن الجزائري الذي يتعلم في المدرستين معًا يحمل جرحًا في وجدانه وكنزًا في عقله، وأن هذا الجرح هو الذي يدفعه لاحقًا إلى البحث التاريخي باعتباره شكلًا من أشكال المقاومة الرمزية.[2]

عاش "**مولاي بلحميسي**" طفولته وصباه في هذا الجو المشحون بالتناقضات. ومما يكشف عن عمق التأثير الذي أحدثته هذه البيئة فيه أنه سيعود في أعماله الأكاديمية الكبرى إلى مدينته مازونة

---

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 342-356.

2 محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ج2، ص 230-235.

وإلى منطقة الظهرة التي نشأ فيها، ليجعل منها موضوعاً للدراسة التاريخية المعمّقة، في إشارة واضحة إلى أن الجذور المحلية لم تكن عبئاً أو عقبة بل كانت منطلقاً معرفياً أصيلاً.

**المطلب الأول: مولده ونشأته الاجتماعية (لمحة موجزة عن بيئته).**

تشكّل البيئة الجغرافية والاجتماعية التي يولد فيها الإنسان أحد العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته واهتماماته الفكرية. وإذا صحّ القول إن لكل مؤرخ "**جغرافيا سرية**" تُلوّن رؤيته للماضي، فإن جغرافية بلحميسي السرية هي مدينة مازونة بمنطقة الظهرة، تلك الحاضرة العلمية المنسية في جبال الغرب الجزائري التي ستمنحه لاحقاً أكثر من مسقط رأس: ستمنحه مختبراً تاريخياً حياً لاختبار نظرياته حول التاريخ المحلي ودوره في فهم التاريخ الوطني الكبير.

- **أولاً: تاريخ ومكان الميلاد.**

وُلد "**محمد مولاي بلحميسي**" في السابع عشر من شهر جانفي سنة **1930م** بمدينة مازونة[1]،التابعةإدارياًآنذاكلولايةمعسكر،والواقعةحالياًفيولاية غليزان بالغرب الجزائري. وتُعتبر مدينة مازونة من المدن الجزائرية العريقة ذات الموقع الاستراتيجي المهم، وقد عرفت تاريخاً حافلاً بالأحداث السياسية والعسكرية والعلمية خلال الفترة العثمانية التي تمثل الإطار الزمني الأساسي لأعمال **بلحميسي**.[2]

وتكتسب هذه المدينة أهمية مضاعفة في سياق دراسة مولاي بلحميسي، إذ لا يمكن فهم اهتمامه بالتاريخ المحلي بمعزل عن انتمائه الوجداني العميق لهذه البقعة الجغرافية، فكثيرًا ما يُلاحظ في أعمال المؤرخين أن الانتماء المكاني يُشكّل رؤيتهم للتاريخ بقدر ما يُشكّله التكوين الأكاديمي. وقد أكدت الباحثة فاطيمة حبش في دراستها التحليلية لكتاب *تاريخ مازونة* أن اختيار بلحميسي لمدينته،

1 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال كتابه تاريخ مازونة"، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 8، العدد 2، 2019م، ص 339.

2 مولاي بلحميسي، تاريخ مازونة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 10-21.

مسقط رأسه، موضوعًا لكتابه الأول لم يكن اختيارًا عاطفيًا، بل كان «استراتيجية بحثية واعية تقوم على مبدأ البدء بالمحلي للوصول إلى الوطني.»[1]

- **ثانياً: مدينة مازونة ـ الموقع والتاريخ في الفترة الحديثة (1518 ـ 1830م).**

تقع مدينة مازونة في منطقة الظهرة (**Dahra**) بالغرب الجزائري، وهي منطقة جبلية ذات طبيعة خلابة وتربة خصبةعُرفت المدينة منذ القديم بأهميتها التجارية والزراعية، حيث كانت ملتقى القوافل التجارية بين الساحل والداخل، ومركزاً مهماً للنشاط الاقتصادي في المنطقة[2]، وهذا البُعد الاقتصادي ـ التجاري لمازونة سيكون لاحقاً محور اهتمام **بلحميسي** الذي أدرك أن الحياة الاقتصادية للمدن الصغيرة لا تقل أهمية في فهم التاريخ العام عن الحروب والسياسات الكبرى.

وفي إطار الفترة التاريخية التي تُشكّل محور هذه الدراسة (**1518 ـ 1830م**)، شهدت مازونة مراحل بالغة الأهمية تستحق الوقوف عندها فمنذ انتهاء الحكم الزياني وبداية الحكم العثماني على الجزائر في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، انخرطت مازونة في المنظومة الإدارية العثمانية التي قسّمت الإيالة إلى بايليكات ثلاثة كبرى[3]، واكتسبت المدينة أهميتها الإدارية حين اتخذها الباي محمد الكبير مقراً لإدارة بايلك الغرب في القرن الثامن عشر، وهو ما منحها ثقلاً سياسياً وإدارياً يفوق حجمها الجغرافي.[4]

وتكشف الوثائق التاريخية التي استثمرها **بلحميسي** نفسه في أعماله عن أن مازونة لم تكن مجرد عاصمة إدارية فحسب، بل كانت تحتضن حركة علمية وفقهية نشطة تجلّت في المدارس والزوايا والكتاتيب التي كانت تستقطب الطلبة من مختلف أرجاء الغرب الجزائري والمغرب الأوسطويُشير المؤرخ صالح عباد في دراسته حول المؤسسات التعليمية في العهد العثماني إلى أن "**الزوايا في الغرب**

---

1 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال كتابه تاريخ مازونة"، المرجع السابق، ص 260-261.

2 مولاي بلحميسي، تاريخ مازونة، مرجع سابق، ص 21-35.

3 ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 1994م، ص 78-92.

4 مولاي بلحميسي، تاريخ مازونة، مرجع سابق، ص 50-70.

**الجزائري، ولا سيما زاوية مازونة، كانت تضطلع بوظيفة تعليمية وحضارية لا تقل أهمية عن المدارس الكبرى في المشرق الإسلامي".**[1]

- **ثالثاً: الظروف الاستعمارية إبان ميلاد بلحميسي وتأثيرها في تشكيل الوعي.**

جاءت ولادة بلحميسي في **سنة1930م**، أي في العام الذي أقامت فيه فرنسا احتفالات **"مئوية الاحتلال"** التي وصفها المؤرخ شارل أندري جوليان بأنها كانت "**مهرجاناً استعراضياً لقوة الاستعمار المادية في مواجهة شعب منزوع السلاح والإرادة"**[2]،وقدكانت هذه الاحتفالات بمثابة صدمة للوعي الوطني الجزائري، إذ أدركت النخب الجزائرية الواعية أن المعركة لن تُكسب بالسلاح وحده، بل تحتاج إلى مواجهة معرفية حقيقية تستعيد التاريخ الجزائري من براثن الرواية الاستعمارية.

وفي هذا الإطار، لا يمكن فهم ظهور جيل المؤرخين الجزائريين الذي ينتمي إليه مولاي بلحميسي بمعزل عن الصحوة الثقافية التي أشعلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .كما كان الوصول إلى التعليم الأكاديمي المتقدم حلمًا بعيد المنال لأبناء الجزائر في تلك الحقبة، فقد أشارت الإحصاءات الاستعمارية نفسها، التي استشهد بها الباحث أحمد بن نعمان في دراسته حول السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، إلى أن نسبة الجزائريين الملتحقين بمراحل التعليم الثانوي لم تتجاوز 2% في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، بينما كانت المدارس الابتدائية نفسها لا تستوعب أكثر من 10% من أطفال الجزائريين.[3]،

رغم هذه العوائق البنيوية الضخمة، استطاعت عائلة بلحميسي أن توفر له الظروف المناسبة لمواصلة تعليمه، وهو ما يعكس صنفاً من الإصرار العائلي الواعي الذي وثّقته الباحثة خيرة بالساسي في مذكرتها حول بلحميسي وإسهاماته، مشيرةً إلى أن "**النشأة في ظل الاستعمار كانت عاملاً محورياً**

1 صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2002م، ص 145-152.

2 شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: المنجي سليم وصالح الطيبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م، ج2، ص 302.

3 أحمد بن نعمان، السياسة التعليمية في الجزائر الاستعمارية، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص 73-80.

**في تكوين الوعي الوطني لبلحميسي وتعميق حسه التاريخي النقدي"**[1]، وقد أسهمت هذه النشأة في ظل الاستعمار في تشكيل وعي نقدي مبكر تجاه الرواية الاستعمارية.

**المطلب الثاني: مراحله التعليمية الأولى.**

شكّلت المراحل التعليمية الأولى في حياة "**مولاي بلحميسي**" قاعدة صلبة لمساره الأكاديمي اللاحق. والمتأمل في هذه المراحل يُدرك أن بلحميسي جمع بين التعليم التقليدي في الكتاتيب القرآنية والتعليم الحديث في المدارس الفرنسية، مما أكسبه ثنائية ثقافية ولغوية مكّنته من التعامل مع المصادر العربية والغربية بنفس الكفاءة. وهذه الثنائية لم تكن صدفة بل كانت نتاج سياق اجتماعي وتاريخي معقّد يستحق التأمل والتحليل.

وقد أولت الدراسات التربوية الحديثة المتعلقة بتاريخ التعليم في الجزائر الاستعمارية اهتمامًا خاصًا بظاهرة الجمع بين التعليمين، إذ تُشير الباحثة فضيلة حنيف في دراستها حول التعليم العربي الحر في الجزائر إلى أن هذا الجمع لم يكن مجرد توافق انتهازي، بل كان استراتيجية تكيّف ثقافي واعية، سمحت لفئة من الجزائريين باكتساب أدوات الحداثة مع الحفاظ على الهوية الأصيلة..[2]

- **أولاً: التعليم القرآني التقليدي.**

**بدأ مولاي بلحميسي مساره التعليمي الأول، كغيره من أبناء الجزائر في ذلك الوقت، في الكتاتيب القرآنية، وهي مؤسسات تعليمية تقليدية اعتمد عليها المجتمع الجزائري في تلقين أبنائه مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية والقراءة والكتابة. وكانت الكتاتيب تمثل خط الدفاع الأول عن الهوية الإسلامية والعربية للجزائريين في وجه سياسات الفرنسة والتغريب.**

1 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2017/2016م، ص 22-23.

2 فضيلة حنيف، التعليم العربي الحر في الجزائر في عهد الاستعمار، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 18، 2002م، ص 52-60.

**وقد أولى الباحثون الجزائريون المتخصصون في تاريخ التعليم اهتمامًا خاصًا بدور الكتاتيب القرآنية في الحفاظ على الهوية الوطنية خلال الحقبة الاستعمارية، ويؤكد المؤرخ يحي بوعزيز في دراسته المعمّقة حول المقاومة الثقافية الجزائرية أن «الكتاب القرآني لم يكن مجرد مؤسسة تعليمية دينية، بل كان ملجأً للهوية الجزائرية في مواجهة مشروع الاستيعاب الثقافي الفرنسي»**[1]،ويدعم هذا الطرح ما وثّقه المؤرخ الفرنسي الطيب معاد (**Tayeb Chenntouf**) من أن الإدارة الاستعمارية كانت تُراقب الكتاتيب بعين ريبة وقلق، وكانت تُضيّق عليها في فترات معينة خشية أن تُشكّل مراكز للمقاومة الثقافية.[2]

في هذه المرحلة التأسيسية، حفظ مولاي بلحميسي أجزاءً من القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ اللغة العربية وقواعدها، واكتسب ملكة لغوية قوية أهّلته لاحقًا للتعامل مع المصادر العربية القديمة بكفاءة عالية. ويُؤكد هذا الدور التأسيسي للتعليم القرآني في تكوينه أنه حين كان يحقق المخطوطات العربية لاحقًا.

- **ثانياً: المرحلة الابتدائية.**

بعد إكمال تعليمه القرآني الأولي، انتقل بلحميسي إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية سنة **1936م**، وكان عمره آنذاك ست سنواتواستمر تعليمه الابتدائي حتى سنة **1942م**، حين تحصّل على شهادة التعليم الابتدائي التحضيرية (**شهادة التعليم الابتدائي التحضيري**).

- **ثالثاً: المرحلة الثانوية في تلمسان.**

بعد إتمام المرحلة الابتدائية بنجاح، انتقل بلحميسي إلى مدينة تلمسان لإكمال دراسته الثانوية، والتحق بالثانوية الفرنسية الإسلامية (**المدرسة الثانوية الفرنسية الإسلامية**)،وكان هذا الانتقال من مازونة الجبلية إلى تلمسان الحاضرة العريقة نقلة نوعية على المستويين الجغرافي والمعرفي.

---

1 يحي بوعزيز، المقاومة الثقافية الجزائرية إبان الاستعمار، دار الأمة، الجزائر، 1999م، ص 87-95.

2 الطيب شينتوف (Tayeb Chenntouf)، المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر، ترجمة: أحمد بن طريف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 203-210.

وتكتسب تلمسان دلالة رمزية خاصة في هذا السياق، إذ تحتضن آثار حضارة زيانية راقية وموروثاً معمارياً وعلمياً إسلامياً متجذّراًويُشير المؤرخ رشيد بورويبة في مؤلفه الجوهري حول الآثار الإسلامية في الجزائر إلى أن تلمسان كانت عبر تاريخها "**رمزاً للاستمرارية الحضارية الجزائرية الإسلامية في مواجهة كل محاولات الاستيعاب والإلغاء**"[1]،وقدأتاحالإقامةفيهذهالمدينة للطالب الشاب بلحميسي الاحتكاك المباشر بتراث مادي وتاريخي حي لا وجود له في كتب الدراسة الفرنسية، وهو ما سيُعمّق وعيه بأن التاريخ الجزائري ليس ما تقوله المكتبة الاستعمارية بل ما تقوله الحجارة والأرشيفات والذاكرة الحية.

قضى بلحميسي ست سنوات في هذه الثانوية، من سنة **1946م** إلى سنة **1954م**، وهي فترة تتزامن مع أحداث محورية في تاريخ الجزائر. ففي سنة **1945م** وقعت مجازر الثامن من مايو التي أودت بحياة عشرات الآلاف من الجزائريين، وقد وصف المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم هذه المجازر بأنها كانت "**نقطة التحول التي أكدت لكل جزائري واعٍ أن الطريق إلى الاستقلال لن يمرّ عبر التفاوض السلمي وحده**"[2]، وكان الطالب الشاب بلحميسي يعيش هذه الأحداث بكل ثقلها، وهو ما سيُعمّق قناعته لاحقاً بأن كتابة التاريخ الصادق هي فريضة وطنية لا مجرد هواية أكاديمية.

خلال هذه المرحلة، تلقى بلحميسي تعليماً متنوعاً في العلوم الإنسانية والطبيعية، وتعمّق في دراسة اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والأدبوتُشير الباحثة فوزية لزغم في دراستها حول مساهمات بلحميسي في مجلة الأصالة إلى أنه كان في هذه المرحلة "**واعياً بالتحيز المنهجي للمناهج الفرنسية التي تُقدّم تاريخ فرنسا بوصفه تاريخاً عالمياً وتُهمّش تاريخ الجزائر والمغرب العربي**"[3]، وقد أسهمت هذه المعايشة النقدية المبكرة للتحيز الأكاديمي في تكوين حسّه النقدي الذي سيُميّزه لاحقاً كمؤرخ.

---

1 رشيد بورويبة، الآثار الإسلامية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 45-52.

2 مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 33-40.

3 فوزية لزغم، مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 11-12.

## المبحث الثاني: التكوين الجامعي والشهادات العليا.

يُمثّل المسار الجامعي منعطفاً حاسماً في حياة أي باحث أو أكاديمي، إذ فيه يتم التخصص العلمي الدقيق، وتُصقل المهارات البحثية، وتتشكل الرؤية المنهجية التي ستوجه الإنتاج العلمي اللاحق وبالنسبة **لمولاي بلحميسي**، فقد كانت هذه المرحلة غنية ومتنوعة، امتدت على مدى عقود من الزمن، وشملت التكوين في مؤسسات جامعية مختلفة في الجزائر وفرنسا.

### المطلب الأول: دراسته الجامعية وتخصصه في التاريخ.

بعد حصوله على شهادة البكالوريا من تلمسان سنة **1954م**، انتقل بلحميسي إلى الجزائر العاصمة لإتمام الدراسات العليا في لحظة تاريخية فارقة تزامنت مع اندلاع ثورة التحرير الوطني في أول نوفمبر **1954م**، هذا التزامن لم يكن بلا دلالة: فالشاب الجزائري الذي يدخل الجامعة في اليوم الذي تشتعل فيه الثورة المسلحة كان يُدرك تلقائياً أن طريق القلم والبحث العلمي ليس بديلاً عن طريق الكفاح بل هو صنوه الضروري.

#### ✓ أولاً: الدراسة في معهد الدراسات العليا الإسلامية.

التحق مولاي بلحميسي أولًا بمعهد الدراسات العليا الإسلامية في الجزائر العاصمة، وهو معهد أنشأته الإدارة الاستعمارية لأغراض محددة، غير أن نتائجه جاءت في كثير من الأحيان معاكسة لمقاصده. ويُوثّق المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله في كتابه *تاريخ الجزائر الثقافي* أن كثيرًا من خريجي هذه المعاهد الدينية "الاستعمارية" أصبحوا في الواقع من أبرز المدافعين عن الهوية الجزائرية الإسلامية، مستثمرين تكوينهم الأكاديمي في خدمة القضية التي كان الاستعمار يسعى إلى طمسها أو تجاهلها..[1]

تحصّل **بلحميسي** على دبلوم المعهد سنة **1954م**، مما أهّله للالتحاق بجامعة الجزائر.
وتكتسب هذه الشهادة المزدوجة (**الدبلوم الإسلامي والبكالوريا الفرنسية**) دلالة مزدوجة: فهي تُجسّد الثنائية الثقافية التي ميّزت بلحميسي طوال مسيرته، وهي ثنائية لم تقتصر على اللغة بل امتدت إلى المنهج والرؤية المعرفية.

---

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص 178-185.

✓ **ثانياً: الدراسة في جامعة الجزائر والتكوين المنهجي.**

بعد حصول مولاي بلحميسي على دبلوم معهد الدراسات الإسلامية، التحق بجامعة الجزائر لدراسة التاريخ، وقضى فيها أربع سنوات كاملة (1954–1958م)، اختص خلالها في تاريخ المشرق الإسلامي. وكانت جامعة الجزائر قد تأسست سنة 1909م، ولم تكن في أصلها مُصمَّمة لاستقبال الجزائريين المسلمين، وكان وجود هؤلاء فيها يُشكّل استثناءً لافتًا ضمن منظومة استعمارية مغلقة. ويشير الباحث الجزائري محمد العربي الزبيري في مقاله حول تطور التعليم العالي في الجزائر إلى أن «وجود الجزائريين المسلمين في جامعة الجزائر كان بحد ذاته فعلًا مقاومًا، لأنهم كانوا يجلسون في قاعات درس صُمِّمت لإقصائهم، ويتلقّون تكوينًا أُعدّ في الأصل لتخريج موظفين استعماريين.».[1]

كانت المناهج الدراسية فرنسية بالكامل، مع تركيز كبير على التاريخ الأوروبي وتهميش واضح لتاريخ الجزائر والمغرب العربي. غير أن **بلحميسي** استطاع أن يستفيد من هذا التكوين في اكتساب المناهج الحديثة في البحث التاريخي، مع الحفاظ على وعيه النقدي تجاه الرؤية الاستعمارية للتاريخ.

✓ **ثالثاً: الأساتذة وأثرهم في التكوين المنهجي.**

في هذه المرحلة الجامعية، درس **بلحميسي** على يد نخبة من الأساتذة المستشرقين والمستعربين الفرنسيين المتخصصين في التاريخ الإسلامي، وكان التعامل مع هؤلاء تجربة مزدوجة: الاستفادة من خبرتهم المنهجية مع الحذر من رؤيتهم الأيديولوجية.

### 1. ماريوس كنار :(Marius Canard) .

وهو مستشرق فرنسي متخصص في التاريخ الإسلامي، وصاحب أعمال مرجعية في تاريخ الدولة الفاطمية والعلاقات الإسلامية البيزنطيةوقد أفاد **بلحميسي** من دراسة كنار في الاطلاع على أساليب التحقيق الفيلولوجي للمصادر العربية وطرق التعامل مع الوثائق اليونانية والبيزنطية المتعلقة

1 محمد العربي الزبيري، "تطور التعليم العالي في الجزائر من الاستعمار إلى الاستقلال"، مجلة التاريخ والحضارة المغاربية، العدد 5، 1995م، ص 33-40.

بالعالم الإسلاميوممّا يستحق الملاحظة أن بلحميسي تعلّم من كنار آليات المقارنة بين المصادر المتعددة اللغات، وهو أسلوب سيوظّفه لاحقاً في مقارنة الأرشيفات الفرنسية والإسبانية مع المصادر العربية المحلية.[1]

## 2. روجي لوتورنو (روجر لو تورنو).

مؤرخ ومستشرق فرنسي متخصص في تاريخ المغرب الإسلامي، وصاحب دراسات مهمة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمدن المغاربيةوقد كان لوتورنو من القلة القليلة في المدرسة الاستشراقية الفرنسية التي أولت اهتماماً للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمدن الجزائرية لا التاريخ العسكري والسياسي وحده، وهو ما يفسّر جزئياً تبنّي بلحميسي لاحقاً للمقاربة الاجتماعية والاقتصادية في دراسة مدن كمازونة ومستغانم.[2]

لكن **بلحميسي** لم يكن مجرد متلقٍّ سلبي لهذه المناهجفقد أبدى منذ وقت مبكر وعياً نقدياً حاداً تجاه التحيزات الاستشراقية، وهو ما يُؤكده الباحث ناصر الدين سعيدوني في دراسته حول المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة، إذ يُلاحظ أن **بلحميسي** كان من بين مؤرخي جيله القلائل الذين **"استطاعوا استيعاب المنهج الغربي في التأريخ دون الانسياق لمنطلقاته الإيديولوجية الاستعمارية"**.[3]

### ✓ رابعاً: الحصول على الإجازة وأهميتها المزدوجة.

في سنة **1958م**، حصل بلحميسي على شهادة الإجازة (**الليسانس**) في التاريخ من جامعة الجزائروكان الحصول على هذه الشهادة في حد ذاته إنجازاً لا يُستهان به في ذلك السياق، غير أن الأهم من الإنجاز ذاته هو السياق الزمني الذي جاء فيه: فسنة **1958م** كانت السنة الرابعة للثورة

---

1 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال كتابه تاريخ مازونة"، مرجع سابق، ص 51.

2 المرجع نفسه، ص 51.

3 ناصر الدين سعيدوني، "المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة: الروافد والمسالك"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 7، 1999م، ص 22-28.

الجزائرية، والجزائر تدخل أحرج مراحلها النضاليةواختيار **بلحميسي** مواصلة الطريق الأكاديمي في هذه الظروف لم يكن هروباً من الالتزام الوطني، بل كان تعبيراً عن يقينه بأن الجزائر المستقلة ستحتاج في يوم ما إلى مؤرخين قادرين على إعادة كتابة تاريخها من منظور علمي موضوعي.[1]

**المطلب الثاني: رحلته العلمية إلى فرنسا وحصوله على الدكتوراه.**

بعد استقلال الجزائر سنة **1962م**، فتحت فرص جديدة أمام الطلاب الجزائريين لمواصلة دراساتهم العليا في الخارجوقد استفاد بلحميسي من هذه الفرصة، حيث حصل على منحة للدراسة في فرنساوكان اختياره لفرنسا وجهةً لدراسته العليا مثاراً لنقاش أكاديمي مشروع: كيف يمكن للباحث الذي يُريد إعادة كتابة تاريخ الجزائر تصحيحاً للرواية الاستعمارية أن يدرس في الجامعات الاستعمارية ذاتها ويستشهد بأرشيفاتها؟

والجواب الذي أعطاه **بلحميسي** بأعماله لا بأقواله هو الجواب الأعمق: إن الأرشيف ليس مُدانَ بمن أنتجه بل بكيفية قراءتهفالوثيقة الاستعمارية التي قرأها مستشرق متحيز كشاهد دفاع عن الاستعمار يمكن إعادة قراءتها بمنهج نقدي معكوس لتتحول إلى شاهد إدانة موثّق لهوهذه هي تحديداً الفلسفة المنهجية التي طبّقها بلحميسي في تعامله مع الأرشيفات الفرنسية.

- **أولاً: المنحة الدراسية والالتحاق بجامعة إيكس أون بروفانس.**

في سنة **1962م**، تحصّل بلحميسي على منحة للدراسة في الخارج، فاختار جامعة إيكس أون بروفانس(**Aix-en-Provence**)وجهةً لدراسته العليا. وكان هذا الاختيار محسوباً ومدروساً لعدة اعتبارات متكاملة:

تقع مدينة إيكس في جنوب فرنسا بالقرب من مرسيليا التي كانت تحتضن أرشيفات ثمينة عن العلاقات الفرنسية الجزائريةكانت جامعة إيكس تتميز بتخصصها في تاريخ منطقة البحر الأبيض المتوسط، مما جعلها مركزاً أكاديمياً طبيعياً لدراسة التاريخ الجزائري بوصفه جزءاً من التاريخ المتوسطي الكبيروقد أشار الباحث شويتن أرزقي في بيوغرافيته **لبلحميسي** إلى أن اختيار جامعة إيكس كان

1 محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني، مرجع سابق، ص 3-4.

**"استثماراً استراتيجياً للقرب الجغرافي من الأرشيفات الجنوبية الفرنسية التي تحتضن كنوزاً وثائقية لا غنى عنها لمن يدرس تاريخ البحرية الجزائرية".**[1]

- **ثانياً: دكتوراه الدرجة الثالثة (1972م): التحقيق بوصفه موقفاً معرفياً.**

نال بلحميسي سنة **1972م** شهادة الدكتوراه الدرجة الثالثة (**الدورة الثالثة دكتوراه**) من جامعة إيكس أون بروفانس. وكانت أطروحته تحقيقاً علمياً دقيقاً لمخطوط تاريخي نادر بعنوان **"غزوات عروج وخير الدين" (غزوات عروج و خير الدين)** لمؤلف مجهول.[2]

ويتناول هذا المخطوط سيرة الأخوين "**بربروس عروج وخير الدين**" اللذين أسسا الحكم العثماني في الجزائر في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، ويروي غزواتهما البحرية ضد الإسبان والقوى المسيحية في البحر المتوسطوقد أشار الباحث أمين كرشالي في دراسته التفصيلية لمصادر **بلحميسي** إلى أن مخطوط "**الغزوات**" يتشابه في كثير من معلوماته مع ما ورد في "**مذكرات خير الدين بربروس**" التي أملاها على طلب السلطان العثماني سليمان، **مما** يفتح تساؤلاً تاريخياً حول مسألة التناص والاقتباس بين هذين النصين، وهو بالضبط ما نبّه إليه **بلحميسي** في تحليله النقدي للمخطوط.[3]

- **وتضمّن عمله على هذا المخطوط عدة مراحل منهجية متكاملة:**

✓ **أولاً**: البحث عن النسخ المخطوطة من مكتبات مختلفة وجزائرية ومشرقية وأوروبية ومقارنتها لتحديد النسخة الأدق والأقرب للأصل.

---

1 شويتن أرزقي، "بيوغرافية مولاي بلحميسي من خلال مؤلفاته التاريخية"، ندوة فكرية، مستغانم، أفريل 2015م، نقلاً عن: محمد بليل، مرجع سابق، ص 4.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 294.

3 أمين كرشالي، "مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1518-1830م)"، مجلة عصور الجديدة، ص 5.

- ✓ **ثانياً**: التحقيق النصي بضبط المتن اللغوي وتصحيح الأخطاء المتراكمة عبر القرون وتحقيق الأعلام والأماكن والتواريخ.
- ✓ **ثالثاً**: تقديم دراسة تاريخية مفصلة عن الأخوين بربروس ودورهما في تأسيس الحكم العثماني في الجزائر.
- ✓ **رابعاً**: نقد المعلومات الواردة في المخطوط ومقارنتها بمصادر أخرى عربية وأوروبية للتمييز بين الحقائق التاريخية والروايات الأسطورية.[1]

وتكشف هذه الأطروحة الأولى عن سمة منهجية ستُلازم بلحميسي طوال مسيرته: رفض ثنائية القبول المطلق والرفض المطلق للمصادر، والاستعاضة عنهما بالتحقق المزدوج الذي يُمحّص كل رواية عبر مصادر متعددة ومتقاطعة فمخطوط "**الغزوات**" لم يُقرأ بوصفه نصاً مقدساً لا يُناقش، بل أُخضع لمنهج التحقيق الفيلولوجي الصارم مع الوعي الكامل بطبيعته الأدبية ـ التاريخية المركبة. وهو ما يدفع **المؤرخ عبد الجليل التميمي** إلى وصف هذه الأطروحة بأنها كانت **"تمريناً منهجياً رائداً في التعامل النقدي مع المصادر العربية المخطوطة في إطار الدراسات الجزائرية"**.[2]

- **ثالثاً: البحث في الأرشيفات الأوروبية ـ الرحلة الاستثنائية.**

بعد حصوله على دكتوراه الدرجة الثالثة، واصل **بلحميسي** بحوثه المتعمقة حول البحرية الجزائرية خلال الفترة العثمانية في رحلة بحثية وثائقية استثنائية بكل المقاييسفقد قضى أكثر من عقد من الزمن (**1972 ـ 1986م**) يجوب أرشيفات عدة مدن فرنسية وأوروبية.

وقد أحصى الباحث أحمد رنيمة جملة الأرشيفات التي اعتمدها بلحميسي في أعماله، وكانت تشمل: أرشيف غرفة التجارة البحرية في مرسيليا الغني بالوثائق عن العلاقات التجارية والبحرية الجزائرية الفرنسية، وأرشيف مقاطعة بوش دو رون الذي يضم وثائق قضائية وإدارية تتعلق بالأسرى والفديات والمعاهدات، والأرشيف البحري العسكري في طولون الذي يحتوي على وثائق عسكرية

---

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 290.

2 عبد الجليل التميمي، "البحث في التاريخ المغاربي: توجهات ومناهج"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 85-86، 1997م، ص 43-48.

وبحرية عن الأسطول الفرنسي وعملياته ضد الجزائر، والأرشيف الوطني في باريس الذي يحتوي على مراسلات وزارة البحرية الفرنسية حول الجزائر.[1]

ومما يجعل هذا الجهد الأرشيفي استثنائياً أن **بلحميسي** كان يعمل في ظروف بحثية بالغة الصعوبة مقارنة بما هو متاح للباحثين اليوم. فقد اضطر إلى استنساخ الوثائق بخط يده في حالات كثيرة حين كان التصوير غير متاح، متواصلاً أشهراً في قاعات الأرشيف ينسخ الوثائق ويدوّن الملاحظات ويصنّف المعطياتوقد كشفت دراسة أمين كرشالي التحليلية لأساليب توثيق **بلحميسي** أن "**معدل الأسطر المخصصة للتهميش في كل الصفحات قد يتجاوز ثلاثة أسطر، وأحياناً يبلغ عدد المعلومات التي تم التهميش لها أكثر من خمس معلومات**"، وهي كثافة توثيقية تدل على المسؤولية العلمية العالية التي التزم بها في تعامله مع مصادره.[2]

- **رابعاً: دكتوراه الدولة (1986م) ـ المشروع البحثي الكبير.**

في سنة **1986م**، بعد أكثر من عقد من البحث المتواصل، نال بلحميسي أعلى شهادة علمية في ، النظام الأكاديمي الفرنسي، وهي دكتوراه الدولة(**State Doctorate**) من جامعة بوردو الثالثة[3]،(**Bordeaux III**)كانت أطروحته بعنوان "**بحرية وبحارة الجزائر (1518 ـ 1830م)**" وهي أطروحة ضخمة صدرت لاحقاً في ثلاثة أجزاء كبيرة.

وتتوزع الأطروحة على ثلاثة محاور متكاملة: يتناول الجزء الأول الجوانب التقنية والبشرية للبحرية الجزائرية، مثل أنواع السفن وطرق بنائها، وفئات البحارة والرياس، ونظام التجنيد والتدريب والرواتب والغنائمويتناول الجزء الثاني العمليات البحرية الجزائرية ضد الدول الأوروبية والمعاهدات والاتفاقيات

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 296-297.

2 أمين كرشالي، ، "مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 2.

3 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 294.

والحروب البحرية والعلاقات الدبلوماسيةويتناول الجزء الثالث المراحل التاريخية للبحرية الجزائرية من عصر العظمة إلى مرحلة الضعف والانحدار.[1]

وقد أشار الباحث إبراهيم سعود في مقال منشور إلى أن **بلحميسي** نجح في إبراز الحقيقة التاريخية القائلة بأن "**البحر هو الذي صنع تاريخ الجزائر وثروتها وقوتها**"، مستنداً في ذلك إلى كمّ هائل من الوثائق غير المنشورة من الأرشيفات الفرنسية والإسبانية والإيطالية والإنجليزية[2]، كما أكد المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي أن هذه الأطروحة تُعدّ نموذجًا يُحتذى به في الدراسات التاريخية المغاربية، لما تميزت به من توظيف للأرشيف الأوروبي في إعادة بناء التاريخ الوطني وفق رؤية مستقلة.

## المبحث الثالث: حياته المهنية ونشاطه العلمي.

بعد إتمام تكوينه الأكاديمي الرفيع في الجزائر وفرنسا، بدأ "**مولاي بلحميسي**" مساراً مهنياً حافلاً بالعطاء العلمي والتدريسي والإداريوقد تزامن التحاقه بالتدريس الجامعي مع مرحلة بالغة الأهمية من تاريخ الجزائر المستقلة، وهي مرحلة بناء مؤسسات التعليم العالي الوطنية من العدم تقريباً بعد أن غادر معظم الكوادر الفرنسية. وقد وصف أحمد عبيد هذه الحقبة بأنها كانت "**لحظة تأسيسية فارقة في تاريخ الجامعة الجزائرية، احتاجت فيها إلى مؤرخين قادرين على الجمع بين الكفاءة الأكاديمية الحديثة والانتماء الوطني العميق**".[3]

### المطلب الأول: وظائفه (التدريس بجامعة الجزائر، المناصب الإدارية).

- **أولاً: بداية التدريس في جامعة الجزائر والسياق التأسيسي.**

---

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 291.

2 إبراهيم سعود، مقال منشور في مجلة فرنسية، مشار إليه في: د. أحمد رنيمة، مرجع سابق، ص 289.

3 أحمد عبيد، "التأريخ الجزائري: تقييم ونقد ـ حالة الجزائر العثمانية"، مرجع سابق، ص 47.

التحق **بلحميسي** بالتدريس في جامعة الجزائر سنة **1966م** كأستاذ محاضر (**أستاذ مشارك**) في التاريخ الحديث. وكانت هذه البداية المبكرة في التدريس الجامعي، قبل إكمال دراسات الدكتوراه في فرنسا، دليلاً على حاجة الجزائر الماسة للكفاءات الأكاديمية الوطنية.

وفي هذه الفترة المبكرة، كانت جامعة الجزائر تمر بمرحلة انتقالية صعبة بعد الاستقلال، حيث غادر معظم الأساتذة الفرنسيينوقد وصف المؤرخ الجزائري مصطفى لشهب هذه المرحلة بأنها كانت **"مرحلة شبه البناء من الصفر، حيث اضطر أساتذة جزائريون شبّان لا يزالون في طور التكوين أنفسهم إلى تأطير أجيال من الطلاب في ظل شحّ المراجع وغياب البيئة البحثية الملائمة"**[1].

- **ثانياً: المقررات الدراسية وأبعادها المنهجية (تكملة).**

جزائرية التي كانت تميل في الغالب إلى الاعتماد على مصادر عربية أو فرنسية دون الجمع بينهما في إطار نقدي متوازن.[55]

وتتوزع المقررات التي درّسها بلحميسي على عدة محاور متكاملة يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

**1. تاريخ الجزائر في العهد العثماني:** وهو المقرر الأساسي الذي درّسه لطلاب التاريخ في مستوى الليسانس، وكان يتناول فيه التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي للجزائر خلال الفترة (**1518 ـ 1830م**)، وقد كان يُقدّم هذا المقرر بأسلوب يجمع بين عرض الوقائع وتحليل بنياتها العميقة، مُتجنباً الانحصار في التاريخ الحدثي السطحي الذي يُرسّخ في ذهن الطالب مجرد تسلسل أسماء وتواريخوكان يُدرج في ثنايا هذا المقرر إشكاليات منهجية حول طبيعة المصادر المتاحة وحدودها ومواطن قصورها، مما يزرع في وعي الطالب منذ وقت مبكر تلك الحساسية النقدية التي تُميّز المؤرخ الحقيقي عن ناقل المعلومات.[2]

---

1 فوزية لزغم، مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 22.

2 د. نورالدين بلعربي، قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 294-295.

**2. تاريخ البحرية الجزائرية والجهاد البحري:** وهو مقرر متخصص لطلاب الماجستير، كان يتناول فيه بالتفصيل تاريخ البحرية الجزائرية وأنواع السفن وفئات البحارة والعمليات البحرية والمعاهدات الدوليةوقد كان هذا المقرر بمثابة ورشة بحثية حقيقية أكثر منه درساً أكاديمياً تقليدياً، إذ كان يُطلع فيه طلابه على الوثائق الأرشيفية الأصلية ويُدرّبهم على قراءتها ونقدهايؤكد الباحث ناصر الدين سعيدوني أن **"بلحميسي كان يُقدّم في هذا المقرر نموذجاً حياً للمؤرخ الذي لا يفصل بين التدريس والبحث، بل يجعل من الفصل الدراسي مختبراً لتجريب المناهج وتطبيقها"**.[1]

**3. العلاقات الجزائرية الأوروبية في العهد العثماني:** مقرر يتناول العلاقات الدبلوماسية والتجارية والعسكرية بين الجزائر والدول الأوروبية الكبرى كفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وإيطاليا وهولندا والنمساوقد كان هذا المقرر يقوم على مبدأ منهجي جوهري هو ضرورة قراءة تاريخ العلاقات الثنائية من الجانبين معاً، لا من جانب واحد.

**ثالثاً: الإشراف على الرسائل الجامعية وأثره في تكوين جيل بحثي.**

أشرف بلحميسي على عشرات الرسائل الجامعية في مواضيع متنوعة تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث في الفترة العثمانية. وكان لأسلوبه الإشرافي سمات متميزة أشار إليها أغلب من أشرف عليهم: فقد كان يُطالب طلابه بالرجوع الدائم إلى المصادر الأولية ورفض الاعتماد على المراجع الثانوية وحدها، وكان يُشدد على ضرورة النقد التاريخي الصارم ومقارنة الروايات المختلفة قبل الاستنتاج، والاعتراف بالغموض وعدم اليقين بدلاً من فرض **"حقيقة موحدة واحدة"** عندما لا تسمح الأدلة بذلك.[2]

ومن أبرز طلابه الذين تركوا أثراً في المشهد الأكاديمي الجزائري الأستاذ محمد بن عبد الكريم الجزائري أحد أوائل المختصين في تحقيق المخطوطات بالجزائر، والدكتورة عائشة غطاس رحمها الله. وقد تتوزع المواضيع التي أشرف عليها على عدة محاور: رسائل حول البحرية الجزائرية والرياس والقرصنة، ورسائل حول العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر والدول الأوروبية، ورسائل حول التاريخ المحلي لمدن

1 ناصر الدين سعيدوني، "المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة: الروافد والمسالك"، مرجع سابق، ص 25.
2 المرجع نفسه، ص 303-304.

ومناطق جزائرية، ورسائل حول الأسرى وعمليات الفداء والمعاهدات، ورسائل حول التاريخ الاقتصادي والتجاري للجزائر العثمانية.[1]

**رابعاً: المناصب الإدارية وأثرها المؤسسي.**

- **إلى جانب التدريس والإشراف العلمي، تقلّد بلحميسي عدة مناصب إدارية مهمة في الجامعة الجزائرية:**

**1. مدير معهد علم الآثار:** شغل هذا المنصب سنة **1986م**، وهو العام نفسه الذي حصل فيه على دكتوراه الدولة. وقد ساهم من خلاله في تطوير البحث الأثري في الجزائر وتنظيم الحفريات والدراسات الأثرية، والتنسيق مع المعاهد الأثرية الدوليةوقد أكد الباحث نورالدين بلعربي أن توليه هذا المنصب بالتزامن مع حصوله على أعلى شهادة علمية لم يكن مصادفة بل كان **"تتويجاً لمسيرة طويلة أثبت فيها قدرته على الجمع بين التميز البحثي والكفاءة الإدارية".**[2]

**2. مدير معهد التاريخ بجامعة الجزائر:** وكان هذا المنصب الأكثر تأثيراً في المسيرة المهنية **لبلحميسي**، إذ منحه صلاحيات واسعة في تشكيل التوجهات البحثية والتعليمية لمعهد التاريخ. وقد استثمر هذه الصلاحيات في تطوير المناهج الدراسية وإدخال مقاييس جديدة تتعلق بمنهجية البحث التاريخي والتعامل مع الأرشيف، ومن المهم في هذا السياق ما أشار إليه الباحث أحمد رنيمة من أن بلحميسي حرص في إدارته للمعهد على **"فتح قنوات تعاون مع المؤسسات الأكاديمية الأجنبية لضمان انفتاح المعهد على التجارب البحثية الدولية دون أن يفقد هويته الوطنية".**[3]

**المطلب الثاني: عضويته في الهيئات العلمية الوطنية والدولية.**

---

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 289.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مرجع سابق، ص 294.

3 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 289.

لم يقتصر نشاط **بلحميسي** العلمي على الجامعة الجزائرية فقط، بل امتد ليشمل مشاركات فعالة في هيئات علمية وطنية ودولية متنوعة وقد منحته هذه المشاركات فرصة تمثيل الجزائر في المحافل العلمية الدولية وإسماع الصوت الجزائري في نقاشات كان يهيمن عليها أصحاب المدرسة الاستشراقية الأوروبيةويُشير عبد الجليل التميمي في دراسته حول التعاون الأكاديمي المغاربي إلى أن "**حضور مولاي بلحميسي في الملتقيات الدولية المتخصصة في تاريخ المتوسط كان يمثل صوتاً علمياً ضرورياً يُقدّم رواية مغايرة تستند إلى البحث الوثائقي المعمق لا إلى الخطاب الأيديولوجي**".[1]

- **أولاً: الهيئات العلمية الوطنية.**

- **على المستوى الوطني، شارك بلحميسي في عدة هيئات ولجان علمية، أبرزها:**

**1) لجنة كتابة التاريخ الوطني:**

كانت هذه اللجنة من أهم الهيئات المعنية بكتابة تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، بهدف تصحيح التاريخ المشوّه الذي كتبه المستعمر وإعادة الاعتبار للتاريخ الوطني. ومما يكشف عن طبيعة دور **بلحميسي** في هذه اللجنة أنه لم يكن يُقدّم فيها خطاباً تمجيدياً جاهزاً، بل كان يُقدّم أدلة وثائقية موضوعية مستندة إلى الأرشيفوقد أشار المؤرخ مصطفى لشهب إلى أن إسهامات بلحميسي في هذا الإطار كانت "**مثاراً لنقاشات أكاديمية أحياناً لأنه كان يُؤثر الدقة العلمية على الرغبة الأيديولوجية**".[2]

**2) المجلس العلمي للمعهد الوطني للآثار:**

انتُخب رئيساً للمجلس العلمي لهذا المعهد، وهو منصب استراتيجي يُشرف على السياسة العلمية للمعهد وبرامجه البحثية. ويُشير الباحث أحمد رنيمة إلى أن توليه رئاسة هذا المجلس أتاح له "**تأطير**

1 عبد الجليل التميمي، "إسهامات المؤرخين المغاربة في كتابة تاريخ البحر الأبيض المتوسط"، مرجع سابق، ص 57.

2 مصطفى لشهب، "المدرسة التاريخية الجزائرية وإشكالية الموضوعية والانتماء"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 4، 2010م، ص 42-48.

**البحث الأثري الجزائري وفق توجهات منهجية تُعلي من قيمة الوثيقة المادية بوصفها مصدراً تاريخياً لا يقل أهمية عن الوثيقة الكتابية".**[1]

**3) رئيس الاتحاد الوطني للزوايا الدينية في الجزائر:**

شغل هذا المنصب ما بين سنتي **2002و2003م**، وهو ما يعكس اهتمامه بالتراث الديني والثقافي الجزائري ودور الزوايا في التاريخ الجزائري الحديث. وقد كانت الزوايا الجزائرية خلال العهد العثماني تضطلع بوظائف متعددة: تعليمية وثقافية واجتماعية وأحياناً سياسية، وهي وظائف رصدها بلحميسي في أعماله التاريخية وأبرز دورها في فهم البنية الاجتماعية الجزائرية في الفترة الحديثة.[2]

- **ثانياً: الهيئات العلمية الدولية والحضور الأكاديمي العالمي.**

على المستوى الدولي، كانت عضوية بلحميسي في عدة هيئات دولية مرموقة تُجسّد حضوره الأكاديمي خارج الحدود الجزائرية:

**1. الجمعية الدولية لمؤرخي البحر الأبيض المتوسط:**

كان نائباً لرئيس هذه الجمعية العلمية الدولية التي تضم نخبة من المؤرخين المتخصصين في تاريخ منطقة المتوسط. ومن خلال هذا المنصب شارك في تنظيم ملتقيات دولية وفي نشر أبحاث مشتركة حول التاريخ المتوسطي ويمنح هذا الانتماء الدولي دلالة مزدوجة: فهو من جهة يُؤكد الاعتراف الأكاديمي الدولي بقيمة أعمال بلحميسي، ومن جهة أخرى يُمثّل فرصة لتقديم الرواية الجزائرية في الفضاء الأكاديمي الأوروبي الذي كان يحتكر طويلاً تأويل تاريخ المتوسط الجنوبي.[3]

**2. رئيس جامعة المغرب العربي:**

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 289.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مرجع سابق، ص 294.

3 المرجع نفسه، ص 294-295.

تمّ تعيينه رئيساً لجامعة المغرب العربي التي كان مقرها في العاصمة الليبية طرابلس، وهو منصب أكاديمي رفيع يعكس تقدير المؤسسات المغاربية لكفاءته العلمية والإدارية. ويُبرز الباحث عبد الجليل التميمي في هذا الصدد أن **"تعيين بلحميسي رئيساً لجامعة المغرب العربي جاء تعبيراً عن الإجماع المغاربي على قيمة مساهماته العلمية التي تتجاوز الحدود الجزائرية لتتناول التاريخ المشترك لكل دول المغرب العربي في علاقتها بالعالم الأوروبي المتوسطي".**[1]

- **ثالثاً: الوفاة والإرث العلمي والمؤسسي.**

توفي البروفيسور "**مولاي بلحميسي**" رحمه الله في السادس عشر من شهر جانفي سنة **2009م**[2]،عن عمر يناهز **79سنة**،بعدحياة حافلة بالعطاء العلمي والتربوي والإداري, وقد تزامنت وفاته مع الذكرى الأولى لتأسيس **جمعية الظهرة** بمدينة **مازونة**، وهي الجمعية التي ستنظم لاحقًا ملتقىً وطنيًا علميًا يحمل اسمه، بالتعاون مع مخبر تاريخ الجزائر بـ **جامعة وهران 1 أحمد بن بلة**..[3]

**خاتمة الفصل الأول:**

تناول هذا الفصل السيرة العلمية والأكاديمية للبروفيسور **مولاي بلحميسي**، وقد أظهر أن نشأته في **مازونة** خلال المرحلة الاستعمارية أسهمت في تشكيل وعيه التاريخي المبكر. كما بيّن مساره التعليمي، من الكتاتيب القرآنية إلى **جامعة بوردو**، قدرته على الاستفادة من التكوين المزدوج في خدمة البحث التاريخي. وأكدت رحلته الأرشيفية الطويلة مدى جديته العلمية وحرصه على الوصول إلى الحقيقة

1 عبد الجليل التميمي، "التعاون الأكاديمي المغاربي في مجال التأريخ: الواقع والآفاق"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 95-96، 1999م، ص 18-22.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة ، مرجع سابق، ص 294.

3 إعلان الملتقى الوطني "مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة"، جمعية الظهرة–مازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1، 2015م.

التاريخية، في حين جسّد مساره الأكاديمي نموذج المؤرخ الجزائري الذي جمع بين المنهج العلمي الحديث والالتزام بالهوية الوطنية، مما مهّد لإسهاماته البارزة في كتابة تاريخ الجزائر الحديث.

# الفصل الثاني





افي الفترة التي تلت الاستقلال الجزائري (**1962م**)، واجهت المؤسسات الأكاديمية والبحثية مأزقاً معرفياً عميقاً وحقيقياًفقد ورثت الجزائر مكتبة تاريخية مسمومة بالتحيزات الكولونيالية التي صوّرت المجتمع الجزائري بألوان قاتمة وكارثية، واعتبرت السكان المحليين غير قادرين على الإدارة والحضارة، وركّزت على الدور التركي والعثماني بينما غيّبت تماماً الإسهامات المحلية والقبائل والنخب الفكرية الجزائريةوقد أكد المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله في مقدمة موسوعته الثقافية أن "**المكتبة التاريخية التي ورثتها الجزائر المستقلة كانت مرآة مشوّهة تعكس صورة الجزائر كما أراد الاستعمار أن يراها لا كما كانت في حقيقتها**"[1]،وهو حكم يلخّص بدقة التحدي المعرفي الجسيم الذي واجهه مؤرخو جيل ما بعد الاستقلال.

كان السؤال المحرج الذي يطرح نفسه بقوة هو: كيف يمكن بناء هوية وطنية على أساس تاريخي موثوق وعادل في غياب مكتبة تاريخية وطنية رصينة؟ وكيف يمكن تفكيك الروايات المشوّهة وإعادة بنائها بموضوعية؟ وقد أشار الباحث الفرنسي جيلبير ميونييه (**Gilbert Meynier**)في دراسته النقدية للتأريخ الجزائري المعاصر إلى أن هذا التحدي كان مزدوجاً: "**فمن جهة كانت الكتابة الاستشراقية ترسم صورة سلبية عن الجزائر العثمانية، ومن جهة أخرى كان الخطاب الوطني الرسمي يميل أحياناً إلى أسطرة التاريخ وتبسيطه في خدمة الشرعية السياسية**"[2]، وبين هذين الخطرين كان على المؤرخ الجزائري الحقيقي أن يسلك درباً ضيقاً لا يُوسعه إلا الانضباط المنهجي الصارم.

في هذا الجو المكهرب من البحث عن الحقيقة التاريخية، ظهر جيل من المؤرخين الجزائريين الذين درسوا في الجامعات الأوروبية وتسلّحوا بأدوات المنهج العلمي الحديث، لكنهم احتفظوا برابط عميق بجذورهم المحلية وتراثهم الثقافي. كان "**مولاي بلحميسي**" (**1930–2009م**) من أبرز هؤلاء الرواد، ولم يكن باحثاً كلاسيكياً يعيش في برجه العاجي، بل كان "**باحثاً ملتزماً بقضية تاريخية نبيلة: إعادة**

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج1، ص 9-15.

2 جيلبير ميونييه، "التأريخ الجزائري في مواجهة إرثه الاستعماري"، ترجمة: رشيد بوطيب، مجلة إنسانيات، مركز البحث للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، العدد 28، 2005م، ص 12-18.

**الاعتبار للمحلي، والاهتمام بتفاصيل الحياة اليومية للناس العاديين، والتركيز على الأماكن التي تمت تهميشها في الكتابة التاريخية التقليدية".**[1]

والفكرة الأساسية التي حرّك عليها مشروع بلحميسي هي أن فهم "**التاريخ الوطني الكبير لا يمكن أن يتمّ إلا من خلال فهم شامل لتاريخ مدنه الصغيرة وحواضره المحلية**"،فكل مدينة، مهما بدت صغيرة أو منزوية جغرافياً، تحمل في كيانها قصة حضارية كاملة: قصة الصراع والمقاومة، وقصة البناء والعمارة، وقصة النشاط الاقتصادي والحياة التجارية، وقصة الطبقات الاجتماعية والهياكل السلطوية. وهذا الفهم الثاقب هو ما ميّز بلحميسي عن معاصريه، وهو ما يؤكده الباحث محمد بليل حين يصفه بأنه "**من المؤرخين النادرين الذين أدركوا أن الكتابة التاريخية الجزائرية تحتاج إلى إعادة بناء من الأساس لا مجرد ترميم في الواجهة".**[2]

**ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين متكاملين:** يتناول **المبحث الأول** إسهامات بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال دراسته العميقة لمنطقة الظهرة **(مازونة ومستغانم)**، ويتناول **المبحث الثاني** مشروعه الأضخم والأكثر إثارة للجدل: إعادة كتابة تاريخ البحرية الجزائرية وتحقيق النصوص التاريخية، وسيُلاحظ القارئ أن الفصلين متكاملان لا يُمكن الفصل بينهما: فالتاريخ المحلي يُغذّي التاريخ الوطني ويُقدّم الأساس الذي يُبنى عليه التحليل، والتاريخ البحري يُجسّد النموذج الأرقى لتطبيق هذه المنهجية المتعددة المستويات.

**المبحث الأول: جهوده الرائدة في تأسيس التاريخ المحلي لمنطقة الظهرة.**

قبل الولوج إلى تفاصيل أعمال **بلحميسي** المحلية، من الضروري أن نفهم السياق النظري والفكري الذي كان يعمل فيه، ذلك أن الكتابة التاريخية المحلية لم تكن في منتصف القرن العشرين مجرد اختيار موضوعاتي بريء، بل كانت موقفاً معرفياً وسياسياً في آن واحدففي أوروبا الغربية كانت هناك منذ أواسط القرن العشرين حركة فكرية قوية نحو "**التاريخ المجهري**" (**Microhistoire**) و"**التاريخ من الأسفل**" (**History from below**)، حركة قادها مؤرخون من أمثال إيريك هوبسبوم وإي بي طومبسون وكارلو غينزبورغ، كانوا يؤمنون بأن التاريخ الحقيقي ليس التاريخ الذي

---

1 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مذكرة ماستر، جامعة الوادي، 2017/2016م، ص 22-23.

2 محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 3.

يكتبه الملوك والقادة، بل التاريخ الذي يصنعه الناس العاديون[1]،وقدوصلهذاالفهمالثوريللتاريخإلىالجزائرعبرالدراساتالجامعيةالعليافيفرنساحيثدرس**بلحميسي**.

غير أن بلحميسي لم يستورد هذا المنهج الغربي كما هو، بل أضفى عليه طابعاً محلياً خاصاً يتناسب مع طبيعة المصادر المتاحة في السياق الجزائري. فقد أدرك أن أفضل مصدر لكتابة "**التاريخ من الأسفل**" في الجزائر هو النصوص الفقهية المحلية، وخاصة كتب "**النوازل**"، لأن كل نازلة هي انعكاس لمشكلة حقيقية عاشها إنسان حقيقي في زمان ومكان محددين. وبهذا الإدراك المبكر والعميق أسّس **بلحميسي** لمنهجية جديدة في التأريخ للجزائر الحديثة تتجاوز الكتابة الحدثية السطحية وتُغوص في بنيات المجتمع العميقة.[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن منطقة الظهرة التي اختارها **بلحميسي** ميداناً لأعماله المحلية لم تكن اختياراً عاطفياً محضاً رغم أنها مسقط رأسه بل كانت اختياراً منهجياً مدروساًفهذه المنطقة الجبلية الوعرة الواقعة بين الساحل والداخل الجزائري شكّلت عبر تاريخها الحديث (**1518 ـ 1830م**) نموذجاً فريداً للتوازن الصعب بين الانفتاح الاقتصادي والانغلاق الأمني، وبين التأثر بالنفوذ العثماني المركزي والاستقلالية المحلية النسبية، وهذا التوازن المعقد يجعل منها حالة دراسية مثالية لفهم آليات الحكم العثماني وعلاقته بالمجتمعات المحلية الجزائرية.[3]

**المطلب الأول: كتاب "تاريخ مازونة" (1981م) – ثورة في منهجية البحث المحلي**

عندما قرر "**مولاي بلحميسي**" كتابة "**تاريخ مازونة**"، كان الاختيار محسوباً ومدروساً. فمازونة ليست مدينة عادية، إنها "**عاصمة الفكر**" و"**قلب الثقافة**" في منطقة الظهرةففي هذه المدينة الصغيرة المنزوية في جبال الدار، كانت تنبض قلوب علماء وفقهاء لم يقتصر تأثيرهم على محيطهم المحلي، بل امتد إلى كل الجزائر، بل إلى المغرب الأوسط كلهوهنا كمن سر الاختيار: فدراسة مازونة ليست دراسة لمدينة صغيرة معزولة، بل دراسة لـ"نموذج من الإشعاع الحضاري المحلي" الذي يمكن أن نسحب دراسته على مدن جزائرية أخرى.

---

1 إيريك هوبسبوم، عن التاريخ، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحوار، اللاذقية، 1997م، ص 215-225.

2 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال قراءة في كتابه تاريخ مازونة"، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 8، العدد 2، 2019م، ص 260-261.

3 ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 1994م، ص 92-100.

وقد صدر الكتاب **سنة1981م** عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، في طبعة أولى اتسمت بالبساطة الشكلية التي عكست تقشّف الباحث الميداني الذي يُؤثر الوثيقة على الزخرفةوقد كان صدور هذا الكتاب حدثاً أكاديمياً بارزاً في المشهد التاريخي الجزائري آنذاك، إذ كانت الدراسات المتعلقة بالمدن الجزائرية الصغيرة شبه غائبة عن الأجندة البحثية التي كانت تتمحور حول العواصم الكبرى والأحداث الكبروقد أشارت الباحثة خيرة بالساسي إلى أن **"صدور تاريخ مازونة مثّل تحولاً نوعياً في التوجهات البحثية الجزائرية، لأنه أثبت أن المدن الصغيرة يمكن أن تكون موضوعات لدراسات أكاديمية رصينة لا تقل قيمةً عن الدراسات المتعلقة بالعواصم الكبرى".**[1]

- **أولاً: منهجية الاستنطاق الذكي للنوازل الفقهية وأبعادها المعرفية.**

كان مصدر البيانات الأساسي لبلحميسي في كتابه هو ما يُسمى بـ"**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**" للفقيه المازوني البارز يحي بن موسى المازوني (**ت. 883هـ/1478م**). وهذا الكتاب الفقهي الضخم يضم مئات النوازل التي عرضها أهل مازونة ومنطقة الظهرة على الفقهاء طلباً للفتوى في شؤون حياتهم اليومية، من معاملات مالية وعقود بيع وإجارة وزواج وطلاق وإرث ونزاعات على الأراضي والمياه.

والمبدأ المنهجي الذي أسّس عليه بلحميسي قراءته لهذا المصدر هو أن النازلة الفقهية ليست مجرد نص ديني جافّ يُفتي في مسألة شرعية مجردة، بل هي وثيقة تاريخية واجتماعية من الدرجة الأولى تكشف عن البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذي أنتجتها. وهذا المبدأ يتقاطع مع ما أسّسه المستشرق جوزيف شاخت (**Joseph Schacht**) في دراساته الكلاسيكية حول الفقه الإسلامي، غير أن **بلحميسي** ذهب أبعد مما ذهب إليه شاخت بتوظيفه النوازل مصدراً للتاريخ الاجتماعي لا مجرد تاريخ الفقه في حد ذاته.[2]

وقد قام **بلحميسي** بعملية "**فحص أنثروبولوجي**" دقيق للنوازل، حيث لا ينسخها ببساطة بل يسأل: من هو السائل؟ وما وضعه الاجتماعي؟ وما المشكلة التي يعاني منها؟ وما الحل الذي قدّمه الفقيه؟ وهل هذا الحل يعكس الواقع الاجتماعي أم المثال الديني؟ وبهذا النمط من الاستجواب

---

1 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 22.

2 جوزيف شاخت، مقدمة في الفقه الإسلامي، ترجمة: أبو بكر باقادر وأبو بكر أحمد باحاذق، عالم المعرفة، الكويت، 1985م، ص 72-80.

النقدي للمصدر أمكنه استخلاص معطيات ثمينة عن الحياة اليومية في مازونة خلال الفترة الحديثة (**1518 ـ 1830م**).[1]

**وتكشف النوازل التي اعتمد عليها بلحميسي عن أبعاد متعددة لحياة المجتمع المازوني في العهد العثماني يمكن تصنيفها على النحو الآتي:**

**أ– النوازل الاقتصادية والزراعية:** تكشف هذه النوازل عن البنية الاقتصادية للمنطقة وأنظمة الملكية العقارية والزراعية. فالنوازل المتعلقة بالأراضي والمياه تُبيّن أن المجتمع المازوني كان يقوم على نظام زراعي متطور يعتمد على الري المشترك والملكية الجماعية للمياه في بعض الحالات، وهو ما يُشير إلى وجود تنظيم اجتماعي راسخ سابق للوجود العثماني. ويُؤكد المؤرخ الاقتصادي روجي لوتورنو في دراسته حول الاقتصاد الجزائري في العهد العثماني أن "**الأنظمة الزراعية المحلية في الغرب الجزائري كانت تتسم بدرجة عالية من التعقيد والتطور لا تنسجم مع الصورة النمطية التي رسمتها الكتابة الاستعمارية عن المجتمع الجزائري البدائي**".[2]

**ب– النوازل التجارية والحرفية:** تُتيح هذه النوازل إعادة رسم خريطة النشاط الحرفي والتجاري في مازونة. فمن خلال الفتاوى المتعلقة بعقود الشركة والمضاربة والإجارة يمكن رصد الأنشطة الاقتصادية السائدة وحجم التبادل التجاري وطبيعة الطبقات الاجتماعية المشاركة في الدورة الاقتصاديةوقد أظهر تحليل **بلحميسي** لهذه النوازل أن مازونة لم تكن اقتصادياً معزولة عن محيطها، بل كانت مندرجة في شبكة تبادلية تمتد من الساحل إلى الداخل، وتُجسّد النمط الاقتصادي الجزائري في العهد العثماني الذي يصفه المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي بأنه كان "**اقتصاداً هجيناً يجمع بين اقتصاد العيش والاقتصاد التبادلي في توازن دقيق**".[3]

**ج– النوازل الاجتماعية والعائلية:** تُعدّ هذه الفئة من النوازل المتعلقة بالزواج والطلاق والميراث الكشّافة الأهم عن البنية الاجتماعية والأسرية في مازونة العثمانيةإذ تُبيّن هذه النوازل أنماط الزواج السائدة وأنظمة القرابة والتوارث وأوضاع المرأة القانونية ومدى انسجام الممارسة الاجتماعية الفعلية مع

---

1 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي"، مرجع سابق، ص 261-262.

2 روجي لوتورنو، الحضارة الحضرية الكلاسيكية في إفريقيا الشمالية، ترجمة: عبد القادر زبادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م، ص 145-152.

3 عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج3، ص 87-92.

المثل الفقهي المعلنوقد أكد المؤرخ الاجتماعي دانييل بوتا (**Daniel Panzac**) في دراسته حول البنى الاجتماعية في الجزائر العثمانية أن "**النوازل الفقهية تُمثّل مصدراً لا غنى عنه لدراسة الواقع الاجتماعي الجزائري، لأنها تُوثّق الممارسة الفعلية لا المثال النظري**".[1]

ولا يُقتصر منهج بلحميسي في تناول النوازل على القراءة السطحية والاستشهاد المباشر، بل يذهب إلى عملية تشريحية دقيقة تُفرّق بين ثلاثة مستويات في النص الفقهي: مستوى المعطيات المادية الموضوعية كالأرقام والأوصاف والأسماء، ومستوى التأويلات والأحكام التي يُضفيها الفقيه على هذه المعطيات وهو المستوى الذي يظهر فيه التوجه الأيديولوجي والمذهبي، ومستوى الصمت والغياب الذي كثيراً ما يكون أبلغ من الكلام إذ يكشف ما يُراد

إخفاؤه[2]،وهذاالمنهجيةالتشريحيةتتقاطعمعماطوّرهالمؤرخالإيطاليكارلوغينزبورغتحتمسمى "**المنهجالقرائني**" (**Evidenceial paradigm**)، الذي يؤكد أن الحقيقة التاريخية تُستخلص من الأثر والتفصيل الصغير لا من الإعلان الصريح الكبير.[3]

- **ثانياً: الدور المزدوج لمازونة في العهد العثماني (1518 ـ 1830م) ـالحاضرة العلمية والسياسية.**

أوضح بلحميسي في كتابه أن مازونة لعبت دوراً مزدوجاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في الفترة الحديثة: دور سياسيإداري بوصفها عاصمة للبايلك في مرحلة معينة، ودور علمي وفكري بوصفها مركز إشعاع فقهي وثقافي متواصل عبر القرون.

وهنا يكمن التميّز الحقيقي في تحليله: فبدلاً من أن يرى "**تراجعاً**" من دور سياسي إلى دور علمي كما يرى الكثيرون، رأى بلحميسي أن الدور العلمي هو الذي استمر واستدام بينما تلاشى الدور السياسي بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين أثبت أن فقدان مازونة لمكانتها الإدارية حين تحوّل مقر البايلك إلى معسكر ثم إلى وهران لم يُضعفها بل حرّرها من الالتزامات الإدارية الثقيلة ومنحها مساحة أوسع للتفرغ لدورها الثقافي والعلمي.[4]

---

1 دانييل بانزاك (دانيال بانزاك)، "الديموغرافيا الجزائرية في العهد العثماني"، مجلة التاريخ الاجتماعي ( Social History Review)، العدد 42، 1987م، ص 35-42.

2 أمين كرشالي، "مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين"، مجلة عصور الجديدة، ص 5-6.

3 كارلو غينزبورغ، خيوط وآثار: الحق والكذب والخيال، ترجمة: أكرم البني، دار نينوى، دمشق، 2010م، ص 23-35.

4 مولاي بلحميسي، تاريخ مازونة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 21-30.

وتكشف الوثائق والمصادر التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية (**1518–1830م**) عن أن المكانة العلمية لمازونة لم تكن حكراً على حقبة بعينها، بل كانت متواصلة ومتجددة عبر القرون. فمنذ أن أسّس الفقيه المازوني يحيى بن موسى (**ت. 883هـ**) مجلسه العلمي في المدينة وحتى الفترة العثمانية المتأخرة، كانت مازونة تُصدّر علماءها وفقهاءها إلى كل أرجاء الغرب الجزائري والمغرب الأوسط. ويُؤكد المؤرخ يحيى بوعزيز في دراسته حول الحركة الفكرية في الغرب الجزائري أن "**مازونة كانت تُمثّل في بعض الحقب نموذجاً فريداً للمدينة العلمية التي تُؤثّر في محيطها السياسي دون أن تُهيمن عليه، وهو نمط من التأثير أعمق وأبقى من النفوذ العسكري والإداري**".[1]

وفي إطار الفترة العثمانية بالتحديد، تتكشّف علاقة مازونة بالسلطة العثمانية عن نمط من التعايش التفاوضي الذي يتجاوز ثنائية الخضوع والمقاومة. فالبايات الذين حكموا الغرب الجزائري من معسكر ووهران كانوا يُولون أهمية بالغة للمؤسسة العلمية في مازونة، إذ كانت تُضفي على حكمهم شرعية دينية وثقافية لا غنى عنها. ويُشير المؤرخ صالح عباد إلى أن "**العلاقة بين البايات العثمانيين وعلماء مازونة كانت علاقة تبادلية: يمنح البايات العلماءَ الحماية والدعم المادي، ويمنح العلماء البايات الشرعية الدينية والقبول الشعبي**".[2]

ولا يُقف بلحميسي عند وصف هذه العلاقة بل يُحلّل آلياتها الداخلية، مُستعيناً بالوثائق الموجودة في كتب النوازل وفي السجلات الإدارية المتاحة. ويُبرز في هذا السياق أن المؤسسة العلمية في مازونة لم تكن مجرد أداة في يد السلطة العثمانية، بل كانت تحتفظ بقدر من الاستقلالية تجلّى في مواقف عديدة حين تصادم الفقهاء مع السلطة الإدارية دفاعاً عن حقوق السكان المحليين. وهو ما يُجسّد نموذجاً من نماذج "المقاومة الناعمة" التي كثيراً ما يُغفلها التأريخ التقليدي المنصرف إلى المواجهات المسلحة[3]

---

1 يحي بوعزيز، موسوعة أعلام الجزائر في الحقبة الاستعمارية، دار الأمة، الجزائر، 1998م، ج1، ص 45-52.

2 صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2002م، ص 153-160.

3 عمر بوضربة، "السلطة الدينية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية: نماذج من الغرب الجزائري"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 9، 2001م، ص 67-74.

- **ثالثاً: البنية الحضارية والعمرانية لمازونة بوصفها وثيقة تاريخية.**

لم يكتفِ **بلحميسي** بالجانب الفقهي والاجتماعي في دراسته لمازونة، بل توسّع ليشمل الجوانب العمرانية والحضارية التي اعتبرها وثائق تاريخية صامتة تحكي قصتها الخاصةوقد وصف المدينة وصفاً شاعرياً ودقيقاً في آن واحد، مُشبّهاً إياها بـ"**قسنطينةالصغيرة**" (**قسطنطينةصغيرة**) ن ظراً لطبيعتها الجغرافية الوعرة وتمسّكها بنمط العمارة الإسلامية رغم التغلغل الاستعماري.[1]

وقد انصبّت قراءته العمرانية على عدة عناصر متكاملة: أولاً الأحياء الداخلية بتقسيماتها الاجتماعية التي تعكس التراتبية القبلية والمهنية في المجتمع المازونيوثانياً المساجد والمراكز الدينية التي لم تكن مجرد فضاءات للعبادة بل كانت مراكز للتعليم والقضاء والاجتماع العام. وثالثاً الأسواق والحمامات العمومية التي تكشف عن مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدينةورابعاً الأسوار والتحصينات التي تُوثّق الأخطار الخارجية التي كانت تواجهها المدينة والاستراتيجيات الدفاعية التي اعتمدتها.

وما يُميّز قراءة **بلحميسي** العمرانية هو أنه لا يُقدّمها بوصفها استطراداً وصفياً، بل يُوظّفها بوصفها مصدراً تاريخياً حقيقياً يُكمّل ما تقوله الوثائق الكتابية ويُصحّح ما تُبالغ فيه أحياناًوهو بذلك يُجسّد ما تُسميه الدراسات الأركيولوجية المعاصرة بـ"**الأركيولوجيا الاجتماعية**" (**SocialArchaeology**)، أي قراءة المادة (**العمارة والفنون**) كوثيقة تاريخيةوقد أشار الباحث الفرنسي الأركيولوجي بول جالمييه (**Paul Galimières**) في دراسته حول العمارة الإسلامية في الغرب الجزائري إلى أن "**العمارة الجزائرية في العهد العثماني تُقدّم دليلاً ملموساً على استمرارية الهوية المعمارية الجزائرية المحلية رغم التأثيرات التركية التي لم تُفلح في طمس الطابع الأمازيغيالأندلسي لهذه العمارة**".[2]

وينتهي **بلحميسي** من هذا الاستعراض المعمّق لتاريخ مازونة إلى جملة من الاستنتاجات المنهجية والتاريخية التي تتجاوز حدود المدينة لتُؤسّس لمبادئ عامة في كتابة التاريخ المحلي الجزائريفهو يُثبت أولاً أن الصغر الجغرافي لا يعني الضآلة التاريخية، إذ يمكن لمدينة صغيرة مثل مازونة أن تكون ذات تأثير حضاري هائل في محيطها الإقليمي والوطني. ويُثبت ثانياً أن المصادر المحلية (**النوازل**

1 خيرة بالساسي، مرجع سابق، ص 73، (ينظر إلى: مولاي بلحميسي، تاريخ مازونة، ص 12-21).

2 محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي، مرجع سابق، ص 12.

**والوثائق الشرعية)** هي كنز ثمين إذا أحسن المؤرخ قراءتها النقدية واستنطاقها المنهجيويُثبت ثالثاً أن التاريخ المحلي ليس منعزلاً عن التاريخ الوطني بل هو الأساس الذي يُبنى عليه.[1]

**المطلب الثاني: كتاب "تاريخ مستغانم" (1982م) ـ من العلم إلى السيف.**

إذا كانت مازونة تمثّل "**قلب الفكر الهادئ**" في منطقة الظهرة، فإن مستغانم تمثّل "**خط الجبهة الساخن**"، فبينما كانت مازونة في الجبال البعيدة تشتغل على "**صناعة العلماء والفقهاء**"، كانت مستغانم على الساحل البحري تشتبك في معارك حقيقية ضد الأطماع الإسبانية. وهذا الاختلاف في الموقع الجغرافي والدور الحضاري أثّر بشكل عميق على طبيعة النصوص المتاحة والمصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة كل منهما.

وقد صدر كتاب "**تاريخ مستغانم**" في طبعته الأولى سنة **1982م** بعد سنة واحدة فحسب من صدور تاريخ مازونة، وهو ما يكشف عن وتيرة إنتاجية عالية لدى **بلحميسي** في هذه الفترةوالجدير بالملاحظة أن الكتابين معاً يُشكّلان وحدة بحثية متكاملة: فتاريخ مازونة يُقدّم نموذج الحاضرة العلمية الداخلية، وتاريخ مستغانم يُقدّم نموذج المدينة الساحلية المنفتحة على العالم الخارجيومن خلال المقارنة بين النموذجين يُمكن استخلاص صورة أكثر اكتمالاً عن التنوع الداخلي للمجتمع الجزائري في العهد العثماني.

ومستغانم، كمدينة ساحلية، كانت مغطاة بشكل أكبر في الوثائق الأوروبية **(الإسبانية والفرنسية بشكل خاص)**، هناك رسائل من قنصليات وتقارير عسكرية ورسومات هندسية للأسوار والحصونوهذا وفّر **لبلحميسي** فرصة نادرة: أن يرى المدينة من "**وجهات نظر متعددة**"، الرؤية المحلية من خلال الوثائق العثمانية والسجلات المحلية، والرؤية الأجنبية من خلال الوثائق الأوروبية. وهذه المقارنة بين الروايتين هي تحديداً ما يمنح تحليله قيمته الاستثنائية.

✓ **أولاً: معركة مزغران (1558م) ـ ملحمة الصمود والكرامة في السياق العثماني.**

عندما يكتب **بلحميسي** عن "**معركة مزغران**"، لا يكتب عنها كمجرد واقعة عسكرية جافة بل يكتبها كـ"لحظة **تحول تاريخي**" **(نقطة تحول تاريخية)**، فقبل مزغران، كانت الإمبراطورية الإسبانية تتوسع بسرعة مرعبة على ساحل المغرب العربي، مُستفيدةً من ضعف المقاومة المحلية وتفككها قبل

1 د. فاطيمة حبش، "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي"، مرجع سابق، ص 261.

قيام الإيالة الجزائرية العثمانيةوبعد مزغران، توقفت الموجة الإسبانية وأدركت إسبانيا أن احتلال ساحل الجزائر لن يكون سهلاً كما بدا في البداية.[1]

وتحمل معركة مزغران أهمية بالغة في سياق تاريخ الجزائر الحديث (**1518–1830م**)، إذ تُجسّد النموذج الأوضح للتحالف الوظيفي بين الحكم العثماني والقوى المحلية في مواجهة الخطر الإسباني المشترك. فقد كان الجيش المدافع عن مستغانم يضم عناصر عثمانية وكراغلة وأهالي جزائريين تحت قيادة مشتركة، وهو نموذج من نماذج التكامل العسكري الذي يدحض أطروحة "**الغزو التركي**" التي روّجتها الكتابة الاستعمارية لوصف الوجود العثماني في الجزائر. ويُؤكد المؤرخ عبد الجليل التميمي في هذا السياق أن "**معركة مزغران تُمثّل نموذجاً يُفنّد الأطروحة الاستعمارية القائلة بأن الجزائريين كانوا خاضعين للأتراك خضوعاً سلبياً، بل يكشف عن تفاعل ديناميكي بين المكوّنين في مواجهة الخطر الخارجي المشترك**".[2]

لكن **بلحميسي** لم يكتفِ بذلك، بل قام بتحليل عسكري دقيق للمعركة: كيف تم تحضير الحامية وكم عدد الجنود والأسلحة المتاحة والخطط الدفاعية وكيف استُغلّت جغرافية المدينة لمواجهة جيش إسباني متفوق عدداً وتسليحاً. ويُشير المؤرخ العسكري دييغو ده هايدو ( **Diego de Haedo**) في مؤلفه الكلاسيكي حول الجزائر العثمانية (**وهو مصدر أوروبي استشهد به بلحميسي نفسه**) إلى أن الجانب الإسباني كان يُقدّر الدفاع الجزائري عن مستغانم بأنه "**فاق كل التوقعات وكشف عن قدرة تنظيمية واستراتيجية لم تكن متوقعة من خصم يُعتقد بأنه أضعف بكثير**".[3]

✓ **ثانياً: ثنائية المدينة والثكنة والسوق في مستغانم العثمانية.**

إحدى الرؤى الأصيلة التي قدّمها **بلحميسي** في تحليله لمستغانم هي أنه لم يرَ المدينة كـ"ثكنة عسكرية خالصة" نغصت الحياة الاقتصادية والمدنية فيها، بل أثبت بالوثائق أن الدور العسكري والدور

---

1 عبد الجليل التميمي، "المقاومة الجزائرية للتوسع الإسباني في القرن السادس عشر"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 65-66، 1992م، ص 23-30.

2 مولاي بلحميسي، تاريخ مستغانم من النشأة إلى اليوم، الطبعة الثالثة، مطبعة الوئام، مستغانم، 2004م، ص 95-115.

3 دييغو ده هايدو (دييغو دي هايدو)، توبوغرافيا وتاريخ الجزائر، ترجمة وتعليق: هنري ده غرامون، طبعة الجزائر، 1881م، ص 145-150.

الاقتصادي انجلدا بشكل عضوي في مستغانم العثمانيةفالميناء الحيوي الذي كان يحتاج إلى تحصينات عسكرية كان في نفس الوقت مركزاً تجارياً نشطاً، والسوق التي كانت توفر الموارد للجنود كانت تستفيد بدورها من الأمان الذي يوفره الوجود العسكري.

وقد أورد بلحميسي بيانات ووثائق عن عدد السكان وتطوره عبر الزمن والأنشطة الاقتصادية الرئيسية كالتجارة والحرف والصيد البحري، والهجرة إلى المدينة خاصة الأندلسيين الهاربين من إسبانيا، والبنية الاجتماعية بكل مكوّناتها من أتراك وكراغلة وأهالي وعبيد

وأسرى[1]،ويُشكّلهذاالتوثيقالديموغرافيوالاجتماعيالدقيقإسهاماًعلمياًقيّماًفيفهمالتركيبالبشريللمدنالساحليةا لجزائريةفيالعهدالعثماني.

وفي تحليله للتركيبة الاجتماعية لمستغانم، يُبرز **بلحميسي** دور العنصر الأندلسي الذي وفد إلى الجزائر إثر سقوط الحواضر الأندلسية وطرد المسلمين من إسبانيافقد أثبت بالوثائق أن حي "**تجديت**" في مستغانم لم يكن مجرد تجمع سكني عشوائي، بل كان يضم ورشات نسيج وصناعات جلدية متطورة أسهم فيها الأندلسيون بخبراتهم الحرفية الراقية. وهذا ما يُؤكد الأطروحة التي دافع عنها بلحميسي في أعماله بأن الجزائر العثمانية لم تكن مجتمعاً منغلقاً متجانساً بل كانت فضاءً لالتقاء الثقافات والخبرات الإنسانية المتنوعة.[2]

ويُقارن **بلحميسي** في هذا السياق بين مستغانم وغيرها من المدن الساحلية الجزائرية كوهران وبجاية، مُبيّناً أن كل مدينة طوّرت نموذجاً خاصاً في التوازن بين الوظيفة العسكرية والوظيفة الاقتصادية بحسب موقعها الجغرافي وتاريخها المحلي وعلاقاتها بالقوى المحيطة بها. وهذه المقارنة بين المدن الساحلية الجزائرية في العهد العثماني تُضاف إلى سجل أعماله بوصفها إسهاماً في التأريخ المقارن الذي ظل نادراً في الدراسات الجزائرية.[3]

---

1 مولاي بلحميسي، تاريخ مستغانم، مرجع سابق، ص 40-55.

2 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 44-52.

3 ناصر الدين سعيدوني، "المدن الساحلية الجزائرية في العهد العثماني: مقاربة مقارنة"، مجلة التاريخ والحضارة المغاربية، العدد 8، 2000م، ص 45-52.

**ثالثاً: العمارة كشاهد حي على التاريخ الاجتماعي والسياسي**

كما فعل مع مازونة، قام بلحميسي برسم خريطة عمرانية تفصيلية لمستغانم في العهد العثماني، مُركّزاً على الأسوار الخارجية والقلاع والحصون والأحياء الداخلية والمساجد والمراكز الدينية والحمامات والفنادق والموانئ والمرافق البحريةوكل عنصر معماري في هذه الخريطة يُقرأ بوصفه وثيقة تاريخية تكشف عن البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمدينة.

ويُلاحَظ في هذا التحليل العمراني تأثير مدرسة التاريخ الحضري الفرنسية التي طوّر معالمها المؤرخ بيير لاوداني (**Pierre Lavedan**)، والتي تنظر إلى المدينة بوصفها نصاً تاريخياً يجب قراءته عبر طبقاته المتراكمة لا عبر لحظة واحدة منتزعة من سياقها. وقد أشار بلحميسي نفسه في مقدمة الكتاب إلى تأثره بهذا المنهج الحضري في دراسة المدن الإسلامية، مؤكداً أنه حاول تطبيقه على الحالة الجزائرية مع مراعاة خصوصية المدن المغاربية وطبيعة مصادرها.[1]

وفي خاتمة هذا المطلب، يمكن القول إن بلحميسي أثبت من خلال كتابه عن مستغانم أن دراسة المدن الساحلية والحدودية توفر فرصة فريدة لفهم "**تقاطع الحضارات**" والصراع على الموارد والفضاء في الفترة الحديثةفمستغانم لم تكن مجرد "**ساحة معركة**"، بل كانت كياناً اجتماعياً اقتصادياً معقداً اضطر للتكيّف مع الضغوط الحربية المستمرة من القوى الإسبانية من جهة والسلطة العثمانية من جهة أخرى، دون أن يفقد طابعه المحلي الجزائري الأصيل.

**المبحث الثاني: الرؤية الكبرى ـ إعادة بناء تاريخ البحرية الجزائرية.**

في عالم البحث التاريخي، هناك "**ثورات صغيرة**" تحدث عندما يُعيد مؤرخ ما فهم موضوع معين بشكل جذري، كانت مشروع بلحميسي حول البحرية الجزائرية مثل هذه "**الثورة الصغيرة**". فقد دخل إلى موضوع كان محاطاً بالأيديولوجيا والتحامل أكثر من أي موضوع آخر في التاريخ الجزائري الحديث، وخرج بدراسة علمية رصينة أعادت تعريف المصطلحات وأعادت رسم الحدود المفاهيمية للبحرية الجزائرية في الفترة العثمانية (**1518 ـ 1830م**).

لقد ورثنا من الكتابات الاستشراقية صورة مظلمة جداً عن "**البحرية البربرية**" أو "**القرصنة**" في شمال أفريقيا. وكانت هذه الكتابات ترسم صورة "**بحارة متوحشين**" لا يفكرون إلا في النهب

1 بيير لاوداني (Pierre Lavedan)، تاريخ التخطيط العمراني، ترجمة: فتحي محمد مصيلحي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 230-238.

والتخريب، يعملون بدون نظام أو قانون، يستهدفون السفن التجارية والأسرى بلا تمييز. وكانت الصورة مريعة جداً، صورة تبرر في عقول كتاب المدرسة الاستشراقية الحاجة إلى "**التدخل الأوروبي الحضاري**" لإخضاع هذه "**الثورات الهمجية**". وقد أشار المؤرخ الفرنسي برنار لوغان (**Bernard Lugan**) في مراجعته النقدية للكتابات الاستشراقية إلى أن "**الصورة النمطية عن القرصنة البربرية كانت أداة أيديولوجية بامتياز أُعدّت لتبرير التدخل الأوروبي في شمال إفريقيا وتقديمه بوصفه مهمة حضارية لا عدواناً استعمارياً**".[1]

جاء بلحميسي ليقول: توقفوا، دعونا نُعيد قراءة الوثائقالواقع أعقد وأنبل من هذه الصور المبسّطة.

**المطلب الأول: ثلاثية البحرية (1986–1999م) ـ إعادة تعريف التاريخ البحري الجزائري.**

على مدى ما يقرب من خمسة عشر سنة (**من 1986 إلى 1999م**)، أصدر بلحميسي سلسلة من الأعمال الضخمة حول البحرية الجزائرية في الفترة العثمانية (**1518–1830م**)، وتُشكّل هذه السلسلة في مجملها مشروعاً بحثياً متكاملاً يتناول من زوايا متعددة ومتكاملة ظاهرة البحرية الجزائرية بكل أبعادها التقنية والبشرية والدبلوماسية والاقتصاديةوتضم هذه السلسلة: "**الأسطول البحري الجزائري 1516 ـ 1830م**" (**1986م**)، و"**بحرية وبحارة** الجزائر **1518–1830م**" في ثلاثة أجزاء (**1996م**)، و"**الجزائر: مدينة الألف مدفع**" (**1990م**)، و"**الجزائر وأوروبا والحرب السرية 1518–1830م**" (**1999م**).[2]

وما يمنح هذه السلسلة قيمتها الاستثنائية ليس حجمها المادي الضخم وحده، بل التوجه المنهجي المتسق الذي يجمع بين أعمالها المتعددة: توجه يقوم على رفض ثنائية الرواية الاستشراقية والرواية الوطنية المتحيزة في آن واحد، والتشبث بما تقوله الوثيقة المحققة لا بما يُريد المؤرخ أن تقوله. وقد أكد الباحث أمين كرشالي في دراسته التحليلية لمصادر بلحميسي في هذه الأعمال أن "**ما يُميّز**

1 برنار لوغان (Bernard Lugan)، تاريخ المغرب العربي: من البداية حتى اليوم، ترجمة: محمد حسين، دار الحكمة، الجزائر، 2011م، ص 312-318.

2

**بلحميسي عن سائر من كتبوا في تاريخ البحرية الجزائرية هو أنه لم يُقرّر الاستنتاج سلفاً ثم يبحث عن الوثائق لإثباته، بل انطلق من الوثيقة وترك لها حرية قيادته إلى حيث تشاء".**[1]

✓ **أولاً: الجدل المفاهيمي الكبير ـ من "القرصنة" إلى "الجهاد البحري".**

بدأ **بلحميسي**عمله بنقد حاد وعلمي لمصطلح "**القرصنة**" (**Piracy**). وقال إن ما يُسمّيه الغربيون بـ"**القرصنة**" هو في الحقيقة "**حرب الكورس**" (**Sea Race**)، أي شكل من أشك ال الحرب البحرية المشروعة والمنظّمة، لها قوانينها وتنظيماتها وأهدافها الدوليةوهذا التمييز المصطلحي ليس مجرد جدل لغوي فارغ، بل هو في صميم الموقف المعرفي من طبيعة الإيالة الجزائرية وشرعيتها كدولة ذات سيادة.[2]

- **وقد طوّر بلحميسي منظومة متكاملة من الحجج التاريخية الموثّقة لدعم موقفه المصطلحي هذا، يمكن استعراضها على النحو الآتي:**

**أ– حجة الشرعية الدولية الموثّقة بالمعاهدات:** أثبت **بلحميسي** من خلال وثائق أرشيفية أن الجزائر أبرمت معاهدات رسمية مع دول أوروبية كبرىومن أبرز هذه المعاهدات التي استشهد بها: معاهدة السلم والتجارة مع فرنسا عام **1619م**، ومع هولندا عام **1662م**، ومع النمسا عام **1733م**، ومع إنجلترا في فترات متعددة. واستدل بهذه المعاهدات على أن القوى الأوروبية نفسها كانت "**تعترف بحكم الواقع (De facto) بأن البحرية الجزائرية هي أسطول دولة تمتلك الحق في الحرب والسلم**"، مما يُسقط قانوناً تهمة القرصنة التي تروج لها الكتابات الكلاسيكية لمؤرخين مثل غرامون (**Geraardsbergen**) وماسون ()**Masson**.[3]

وقد دعم هذا الطرح ما وثّقه المؤرخ الأمريكي وليام سبنسر (**William** Spencer) في دراسته حول الجزائر في العهد العثماني من أن "**الدول الأوروبية الكبرى كانت ترسل سفراءها وقناصلها إلى**

---

1 شويتن أرزقي، "بيوغرافية مولاي بلحميسي من خلال مؤلفاته التاريخية"، ندوة فكرية، مستغانم، أفريل 2015م، نقلاً عن: محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي، مرجع سابق، ص 4.

2 أمين كرشالي، "مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1518-1830م)"، مجلة عصور الجديدة، ص 2.

3 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 82.

**الجزائر وتستقبل ممثليها، وهو ما لا يحدث في العلاقات مع عصابات القرصنة بل في العلاقات بين الدول ذات السيادة".**[1]

**ب– حجة التنظيم الإداري المؤسسي:** أثبت بلحميسي أن البحرية الجزائرية لم تكن ظاهرة فوضوية عشوائية بل كانت مؤسسة دولة بامتياز، لها هيكلها الإداري المحددفقد كان ثمة "**ديوان البحر**" الذي يُدير الأسطول وينظّم عملياته، و"**رياس**" قادة السفن لهم مكانة محددة في التسلسل الهرمي العسكري، ونظام واضح وموثّق للترقيات والأجور وتوزيع الغنائم وفق قواعد متفق عليهاوهذا المستوى من المأسسة والتنظيم الإداري لا يتوافر في عصابات الإجرام بل هو سمة المؤسسة العسكرية الرسمية للدول.[2]

ويُقارن بلحميسي في هذا السياق بين نظام إدارة البحرية الجزائرية ونظائره في الأساطيل الأوروبية المعاصرة (الإسبانية والفرنسية والإنجليزية)، مُبيّناً أن البحرية الجزائرية كانت في مستوى التنظيم الإداري مقارِنةً للأساطيل الأوروبية المتقدمة، لا متخلفة عنها كما توحي الكتابة الاستشراقية. وهذه المقارنة المنهجية بين الأساطيل الجزائرية والأوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر تُشكّل إسهاماً منهجياً مبتكراً في الكتابة التاريخية الجزائرية التي كانت تميل في الغالب إلى دراسة التاريخ الجزائري بمعزل عن سياقه الإقليمي والدولي.[3]

**ج– حجة الانتقائية الاستراتيجية في العمليات:** أثبت بلحميسي أن البحرية الجزائرية لم تكن تُهاجم السفن بشكل عشوائي يتناسب مع نمط القرصنة المزعوم، بل كانت توجّه عملياتها بدرجة رئيسية ضد إسبانيا التي لم تتوقف عن محاولات احتلال الساحل الجزائري، وكانت تتجنب في الغالب مهاجمة حلفائها التجاريينوهذا الانتقاء الاستراتيجي يدل على وجود سياسة خارجية واضحة المعالم تخدم مصالح الدولة، لا على نزوات عشوائية للنهب الفردي.[4]

---

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (1930–2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مجلة عصور الجديدة، العدد 3–4، 2015م، ص 222–223.

2 وليام سبنسر (William Spencer)، الجزائر في عهد الرياس: المشاكل والجزاء، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، دار الجليل، بيروت، 1988م، ص 67–75.

3 مولاي بلحميسي، بحرية وبحارة الجزائر (1518–1830م)، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1996م، الجزء الثاني، ص 45–60.

4 جيلبير بوتييه (جيلبرت بوثول)، "مقارنة بين الأساطيل الأوروبية والجزائرية في ال ي رن السابع عشر"، مجلة التاريخ البحري الفرنسي (Revue d'histoire maritime française)، العدد 18، 1965م، ص 23–35.

وقد استند بلحميسي في إثبات هذه الانتقائية الاستراتيجية إلى وثائق من أرشيف القنصلية الفرنسية في الجزائر التي تُوثّق حالات كثيرة امتنعت فيها السفن الجزائرية عن الاعتراض بسبب وجود اتفاقيات سارية مع دول الدول الحليفة. وهذه الوثائق بالذات أكثر ما تُفنّد أطروحة القرصنة العشوائية، لأنها تكشف عن حسابات دبلوماسية دقيقة لا انفعالات عدوانية فوضوية.[1]

**د- حجة السياق الدفاعي الوجودي:** ولعلها أعمق حجج **بلحميسي** وأكثرها أهمية من الناحية التاريخية والأخلاقية معاًفالبحرية الجزائرية لم تنشأ في فراغ ولا نبعت من نزعة عدوانية ذاتية، بل كانت ردّاً مباشراً على الخطر الإسباني الوجودي الماثل. فإسبانيا كانت قد احتلت عدداً من المواقع الساحلية الجزائرية وكانت تسعى باستمرار إلى توسيع نفوذها ومحو الوجود الإسلامي في المتوسط. وفي مواجهة هذا الخطر الوجودي، لم تكن أمام الجزائر إلا خيار الحرب البحرية التي كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة لها في مواجهة قوة بحرية كإسبانيا.[2]

ويُستند في هذا السياق إلى ما وثّقه المؤرخ الإسباني توماس براوو موراليس ( **Tomás Bravo Morales**) الذي يُؤكد أن "**الاستراتيجية الإسبانية في المتوسط الغربي كانت تهدف صراحةً إلى القضاء على الوجود الإسلامي في الساحل الجزائري والتونسي، وأن الجزائر كانت مُحقة في اعتبار ذلك تهديداً وجودياً يستوجب المقاومة بكل الوسائل المتاحة**".[3]

وفي مقابل هذا الطرح القوي لبلحميسي، لا ينبغي لباحث موضوعي أن يتجاهل ما أثاره بعض الأكاديميين من تحفظات مشروعةفقد رأى بعض الباحثين كالمؤرخ الفرنسي ميشيل فونتو (**MichelFontenay**) أن تسمية "**الجهاد البحري**" هي بدورها تنطوي على بعد أيديولوجي قد يُقيّد الحياد العلمي بدلاً من تعزيزه[4]، وقد ردّ بلحميسي على هذا الاعتراض بشكل ضمني حين أكد أنه لا يدّعي التحرر الكامل من كل منطلق أيديولوجي، بل يدّعي أن منطلقاته أقل تحيزاً وأكثر

---

1 مولاي بلحميسي، الجزائر وأوروبا والحرب السرية 1518-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999م، ص 220.

2 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 6-7.

3 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 222-226.

4 توماس براوو موراليس (توماس برافو موراليس)، إسبانيا والجزائر: الصراع المتوسطي في القرن السادس عشر، مد ريد، 1978م، ص 145-152، نقلاً عن: مولاي بلحميسي، الجزائر وأوروبا والحرب السرية، مرجع سابق، ص 221.

استناداً إلى الوثيقة من منطلقات خصومهوهذا جدل أكاديمي مشروع لا يُنقص من قيمة أعمال بلحميسي بل يدل على "**حيوية الحقل**" الذي أسّسه.

✓ **ثانياً: الأسطول ـ من السفن إلى الرجال.**

إحدى الرؤى الأصيلة لبلحميسي في دراسته للبحرية الجزائرية أنه لم يُشعّ بالسفن والأسلحة والمعدات وحدها كما فعل معظم المؤرخين السابقين، بل ركّز بشكل خاص على "**البحارةوالرياسوالقادة**" بوصفهم الفاعل البشري الحقيقي في هذه البحريةوهذا الانتقال من تاريخ "**الأشياء**" إلى تاريخ "**الناس**" هو تحديداً ما يُجسّد التطبيق الفعلي لمبادئ "**التاريخ من الأسفل**" في السياق الجزائري.[1]

وقد درس بلحميسي بالتفصيل التركيبة البشرية للأسطول الجزائري في الفترة العثمانية، مُثبتاً أنها كانت "**مؤسسة كوزموبوليتية**" بامتياز تضم في صفوفها أتراكاً من النخبة العسكرية العثمانية، وكراغلة أبناء الأتراك والنساء المحليات، وعرباً وأمازيغ من أهل الجزائر، وأندلسيين فارّين من إسبانيا، و"**علوج**" أوروبيين اعتنقوا الإسلام أو أُكرهوا على الخدمة.[2]

وهذا التنوع الإثني والديني في تركيبة الأسطول يعكس حقيقة أن البحرية الجزائرية كانت "**مؤسسة كوزموبوليتية**" قبل أن تصبح الكوزموبوليتية مصطلحاً مألوفاً في الأدبيات الاجتماعية المعاصرة. وقد أشار المؤرخ البريطاني جون وولف (**John Wolf**) في دراسته الكلاسيكية حول الربابنة الجزائريين إلى أن "**البحرية الجزائرية كانت من أكثر المؤسسات العسكرية في العالم تنوعاً من الناحية الإثنية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو ما يتناقض جذرياً مع صورتها بوصفها ميليشيا قبلية متجانسة**".[3]

وقد درس بلحميسي بالتفصيل نظام الترقيات والأجور وتوزيع الغنائم داخل الأسطول، مُتساءلاً: كيف يمكن لفتى من أصول متواضعة أن يصبح "**الرايش**" قائد سفينة؟ وما الفوارق الطبقية

---

1 ميشيل فونتو (ميشيل فونتيني)، "القرصنة والكورس في المتوسط في القرن السابع عشر"، في: ملتقى تاريخ المتوسط، مرسيليا، 1991م، ص 78-85.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 1، 2022م، ص 295.

3 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 55.

داخل الأسطول؟ وهذه الأسئلة التي تبدو للوهلة الأولى تفاصيل هامشية هي في الواقع أسئلة الاجتماع التاريخي بامتياز، لأنها تكشف بنية المجتمع ومنظومة قيمه وآليات التنقل الاجتماعي فيه.[1]

ولا يُقتصر تحليل بلحميسي للعنصر البشري في البحرية الجزائرية على الأحرار منهم، بل يتناول أيضاً فئة "**العلوج**" **(الأوروبيين الذين أسلموا أو أُلزموا بالخدمة)** ويدرس مساراتهم الحياتية داخل منظومة البحريةوقد كشف أن كثيراً من هؤلاء "**العلوج**" وصلوا إلى مواقع قيادية رفيعة في الأسطول، مما يُثبت أن الترقي في البحرية الجزائرية كان يستند إلى الكفاءة والخبرة البحرية لا إلى الأصل الإثني أو الدينيوهذا يتناقض تناقضاً صارخاً مع الصورة التي رسمتها الكتابة الاستشراقية عن مجتمع بحري يقوم على التمييز الديني الحاد.[2]

وفي هذا السياق تحديداً تتجلّى قيمة الرؤية المقارنة عند بلحميسي: فهو يُقارن بين نظام الترقي في البحرية الجزائرية ونظيره في الأساطيل الأوروبية المعاصرة **(الإسبانية والفرنسية والبرتغالية)**، مُظهراً أن البحرية الجزائرية كانت في بعض الأحيان أقل تمييزاً وأكثر ميلاً للترقي بالكفاءة من الأساطيل الأوروبية التي كانت ترقياتها مرتبطة بالأصل الاجتماعي والنسب النبيلوهذه المقارنة تنقض جذرياً الصورة النمطية التي رسمتها الكتابة الاستشراقية.[3]

✓ **ثالثاً: دراسة المعاهدات الدولية بوصفها وثائق شرعية للبحرية الجزائرية**

يُولي **بلحميسي** في أعماله حول البحرية اهتماماً خاصاً لدراسة المعاهدات الدولية التي أبرمتها الجزائر مع الدول الأوروبية، إذ يعتبرها أقوى دليل على الشرعية الدولية للكيان الجزائري وعلى الاعتراف الأوروبي الضمني بحق الجزائر في الحرب والسلموتمتد المعاهدات التي استشهد بها في تحليله من النصف الأول من القرن السابع عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر، مُشكّلة سجلاً دبلوماسياً متواصلاً يُثبت أن الجزائر كانت طرفاً في المنظومة الدبلوماسية الدولية لا مجرد عصابة مارقة خارج القانون الدولي.[4]

---

1 جون وولف (John Wolf)، الربابنة الجزائريون والقوى الغربية 1500-1830م، ترجمة: أحمد زكي بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص 112-118.

2 مولاي بلحميسي، بحرية وبحارة الجزائر، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص 1-10.

3 المرجع نفسه، ص 15-30.

4 سامي الكيلاني، "الأساطيل الأوروبية والإسلامية في المتوسط: دراسة مقارنة"، مجلة التاريخ العربي، العدد 12، 1999م، ص 45-52.

وقد استُعين في هذا السياق بدراسة المؤرخ الفرنسي المتخصص لوسيان بلان (**LucienBlanc**) الذي درس المعاهدات الفرنسية ـ الجزائرية بالتفصيل وتوصّل إلى **أن "الدبلوماسية الفرنسية مع الجزائر كانت تتعامل معها بنفس الأسلوب الذي تتعامل به مع الدول الأوروبية ذات السيادة الكاملة، وهو ما يُثبت أن الاعتراف بشرعية الجزائر كان حقيقة مُمارَسة لا مجرد ادعاء نظري".**[1]

ومما يُميّز منهج **بلحميسي** في تحليل المعاهدات أنه لا يكتفي بإيراد نصوصها بل يُحللها من ثلاث زوايا: زاوية المضمون الحرفي الذي يُحدد شروط الاتفاق والحقوق والواجبات المتبادلة، وزاوية السياق السياسي الذي أُبرمت فيه وما يكشفه من موازين القوى والضغوط الدبلوماسية، وزاوية آليات التطبيق الفعلي وما تكشفه من الفجوة أحياناً بين النص الدبلوماسي والممارسة الميدانية.[2]

**المطلب الثاني: تحقيق النصوص والرحلات ـ البحث الدقيق والمنهج النقدي.**

بعد أن أنهى بلحميسي أعماله "**الكبرى**" على البحرية من حيث الحجم والتفصيل، توجّه نحو مشروع آخر يعتبره على نفس درجة من الأهمية: تحقيق ونشر النصوص التاريخية المهملة. وكان اعتقاده أن "**التاريخ الصحيح يبدأ من الوثيقة الصحيحة**"، وأن أي بناء تاريخي مهما بدا رصيناً وشامخاً لا يعدو كونه هشّاً وقابلاً للانهيار إذا كانت قاعدته النصية مشوّهة أو مزوّرة.[3]

وهذا المشروع في "**تحقيق المخطوطات**"قد لا يبدو دراميّاً وجذاباً كالكتابة عن المعارك والبحرية، لكنه يُمثّل نوعاً من "**الفضيلةالعلمية**" (**Scholarlyvirtue**)، أي الرغبة في الدقة والموضوعية حتى لو لم تُحقق انتباهاً جماهيرياً واسعاًوقد أكد المؤرخ عبد الجليل التميمي في مراجعته لأعمال **بلحميسي** أن "**تحقيق النصوص عند بلحميسي لم يكن تمريناً فيلولوجياً جافاً بل كان فعلاً سياسياً**

1 مولاي بلحميسي، الجزائر وأوروبا والحرب السرية، مرجع سابق، ص 220-225.

2 لوسيان بلان (لوسيان بلان)، المعاهدات الفرنسية-الجزائرية 1619-1830م، منشورات المعهد التاريخي للبحر الأبيض المتوسط، آكس إن بروفانس، 1960م، ص 34-42.

3 مولاي بلحميسي، الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، نقلاً عن: محمد بليل، مرجع سابق، ص 3-4.

**ومعرفياً في آن واحد، لأن النص المحقق صحيحاً هو صوت أُعيد إليه نقاؤه وذاكرة استُردّت لها هويتها الأصلية".**[1]

- **أولاً: الرحلات المغاربية ـ صوت الشهود المحليين في العهد العثماني.**

أحد أهم الأعمال لبلحميسي في هذا المجال هو كتابه "**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**" الذي صدر أولاً سنة **1979 ـ 1980م**، والمنطق وراء هذا العمل واضح: الرحالة المغاربة الذين زاروا الجزائر أو عاشوا فيها كانوا "**شهوداً محليين**" لكن بمسافة نسبية. فهم ليسوا "**جزائريين تماماً**" **(بحيث قد يكونون متحيزين)**، لكنهم ليسوا "**أوروبيين غرباء**" **(بحيث قد لا يفهمون السياق الثقافي)**، هذا الموضع الوسط يمنحهم مصداقية فريدة كمصدر تاريخي.[2]

ومن أبرز الرحّالة الذين اعتمد عليهم بلحميسي في هذا العمل: الورتيلاني في رحلته "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، والزياني في "**الترجمانة الكبرى**"، والعياشي في رحلته المشهورةوكل هؤلاء قدّموا وصفاً من الداخل للمجتمع الجزائري في العهد العثماني لا يمكن إيجاده في المصادر الأوروبية التي كانت ترى الجزائر من الخارج وبعيون مسكونة بالتحيز الديني والعداء السياسي.[3]

لكن النصوص التي وصلتنا من هذه الرحلات كانت "**ملوّثة**" بأخطاء نسخ متراكمة. فجملة قد تُقرأ بطريقة خاطئة في نسخة، ثم تُنسخ بنفس الخطأ في نسخ لاحقة، وتتراكم الأخطاء حتى يصعب إعادة بناء النص الأصيلوقد قام **بلحميسي** بعملية تحقيق منهجية شاملة تضمنت: البحث عن المخطوطات الأصلية في المكتبات الجزائرية والمصرية والمشرقية، ومقارنة النسخ المختلفة لإيجاد "**النص الأصح**"، وتصحيح الأسماء الجغرافية، وشرح السياق التاريخي والمصطلحات الغامضة.[4]

---

1 عبد الجليل التميمي، "إسهامات المؤرخين المغاربة في كتابة تاريخ البحر الأبيض المتوسط"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 95-96، 1999م، ص 56-57.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 1، 2022م، ص 321.

3 مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980م، ص 65.

4 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 318.

وما يُميّز تحقيقه عن التحقيقات النصية التقليدية أنه لم يكتفِ بضبط المتن اللغوي بل قام بإعادة رسم مسار الرحلة على الخريطة الحديثة، مُصحّحاً أسماء المواضع التي طمستها الإدارة الاستعمارية، ليُعيد بذلك للذاكرة الجغرافية الجزائرية هويتها الأصلية. وقد أشار الباحث نورالدين بلعربي إلى أن هذا الجانب من عمل **بلحميسي"يُجسّد أحد أوجه المقاومة الثقافية للمحو الاستعماري للذاكرة الجغرافية الجزائرية، لأن إعادة تسمية الأماكن بأسمائها الأصيلة هي استعادة للهوية بقدر ما هي ضبط جغرافي".**[1]

ومما يكشف عن دقة **بلحميسي** في هذا التحقيق انتقاده الحاد للأخطاء الجسيمة التي وقع فيها المستشرقون الفرنسيون عند ترجمة النصوص الجزائرية أو تحقيقهافقد انتقد بشدة ترجمة بربروجر (**Berbrugger**) لبعض النصوص المحلية، موضّحاً كيف أن الجهل بجغرافية الجزائر المحلية العميقة ومصطلحاتها الصوفية أدى إلى تحريف المعاني[2]،وهذاالنوعمنالنقددالدقيقالمستندإلىالخبرةالميدانيةبالجغرافيا المحلية والثقافة الدينية هو ما يُميّز المحقق الحقيقي عن الجاهل بالمجال.

- **ثانياً: ملف الأسرى والعبودية ـ إعادة توازن السرد التاريخي.**

أحد أكثر الأعمال إثارة للجدل **لبلحميسي** هو كتابه "**الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية**" (**1988م**)، وتتجلى في هذا الكتاب أكثر من أي عمل آخر النزعة الإنسانية العميقة التي تُسكن مشروعه البحثي.

في الأدب الأوروبي، خاصة الأدب الإسباني والإيطالي، هناك جنس أدبي كامل مكرّس لـ"**معاناة الأسرى المسيحيين في الجزائر**"، روايات وشهادات عن "**الحياة في الأسر**" وعن "**المعاملة القاسية**"، ولعل أشهر هذه الأعمال ذكراً روايات الأسير الإسباني الشهير ميغيل دي سرفانتيس (**كاتب دون كيشوت**) الذي عاش سنوات كأسير في الجزائروقد استغلت هذه الأعمال الأدبية استغلالاً سياسياً واسعاً لبناء صورة نمطية عن "**الوحشية الإسلامية**" في تعاملها مع الأسرى المسيحيين.[3]

---

1 المرجع نفسه، ص 318.

2 المرجع نفسه، ص 318.

3 لويس ماتياس دي سرفانتيس، حياة الأسير في الجزائر، ترجمة وتحقيق: دمحم حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، مقدمة المحقق، ص 5-15.

**قال بلحميسي**: دعونا نُكمل الصورة. فيما يروي الأدب الأوروبي معاناة الأسرى المسيحيين، ماذا عن معاناة الأسرى المسلمين في أوروبا؟ وقد استقصى الوثائق الأوروبية ذاتها (**الأرشيفات الإسبانية والإيطالية والفرنسية**) وعثر على شهادات مريعة عن "**أعمال الشغل الشاق**" (**Galleys**)، والحياة في السجون الأوروبية، والمعاملة القاسية للعبيد المسلمينواكتشف أن عدد الأسرى المسلمين في أوروبا كان أكبر بكثير من عدد الأسرى المسيحيين في الجزائر، لكن هذه القصة لم تُروَ أبداً.[1]

وما يمنح هذا العمل قيمته المنهجية الاستثنائية ليس مجرد الاكتشاف الحقائقي بل الأسلوب الذي أجرى به المقارنة. فقد استخدم نفس النوع من المصادر الأرشيفية الأوروبية لدراسة الحالتين، مما يُحرّم على منتقديه الاعتراض بتحيز المصادروقد أكد الباحث الإيطالي سيرجيو ناردي (**SergioNardi**) في دراسته المقارنة حول الأسرى في المتوسط العثماني أن **بلحميسي** "**أنجز في هذا الكتاب ما لم يُنجزه أحد قبله: مقارنة متوازنة ومستندة إلى المصدر الواحد بين وضع الأسرى في الضفتين الشمالية والجنوبية للمتوسط**".[2]

كما أثبت بلحميسي بالوثائق أن الأسرى المسيحيين في الجزائر كانوا يُعاملون بشكل إنساني نسبياً (**لهم الحق في ممارسة دينهم، والعمل في التجارة، وحتى الزواج من نساء محليات في بعض الحالات**)، وهذا لا ينكر المعاناة الحقيقية التي عايشها كثيرون منهم، لكنه يضع الصورة في "**توازن أفضل**" يُفنّد النمطية المتحيزة التي هيمنت على الأدبيات الأوروبية.[3]

- **ثالثاً: الأبعاد المعرفية والسياسية لتحقيق النصوص.**

ما يرفع عمل **بلحميسي** في التحقيق من مستوى المهارة التقنية إلى مستوى المشروع الفكري هو إدراكه العميق للأبعاد المعرفية والسياسية لهذا العمل الذي قد يبدو في الظاهر رتيباً وجافاً. فإحياء النصوص التاريخية الجزائرية ونشرها بصورتها الصحيحة والموثوقة يعني في السياق الجزائري ما بعد الاستعماري أشياء جوهرية عدة: إعادة الكلمة للرواية الذاتية التي طال إسكاتها أو تشويهها، وتقديم

---

1 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 221.

2 سيرجيو ناردي (سيرجيو ناردي)، الأسرى في المتوسط العثماني: دراسة مقارنة بين الضفتين، روما، 1994م، ص 78-82، نقلاً عن: خيرة بالساسي، مرجع سابق، ص 55-56.

3 د. أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 221.

سرد جزائري أصيل عن الفترات الحرجة من تاريخ البلاد في مواجهة السردية الاستشراقية التي احتكرت لسنوات طويلة تفسير هذه الفترات، وتوفير قاعدة نصية موثوقة لأجيال لاحقة من الباحثين الجزائريين يعملون عليها بدلاً من الاعتماد على طبعات مشوّهة أو مراجع استشراقية مُدارة.[1]

وتكشف الدراسة التطبيقية لمنهج **بلحميسي** المصدري والوثائقي عن ثلاثة مبادئ متكاملة تُشكّل ما يمكن تسميته "**فلسفة المصدر**" عنده: أولها مبدأ التعددية المصدرية الذي يرفض الاكتفاء بصنف واحد من المصادر سواء أكانت عربية أم أوروبية، إذ لا حقيقة تاريخية كاملة تنبع من نافذة واحدةوثانيها مبدأ النقد المتوازن الذي لا يُعفي أي مصدر من المساءلة مهما كان انتماؤه، ويُسمّي في كل وثيقة بين مادتها الموضوعية وتأويلاتها الأيديولوجيةوثالثها مبدأ التوظيف المعرفي الهادف الذي يجعل العمل الأرشيفي والتحقيقي خادماً لمشروع فكري أكبر وليس غاية في حد ذاته.[2]

**خاتمة الفصل الثاني.**

يتضح من خلال هذا الفصل أن البروفيسور **مولاي بلحميسي** لم يكن مجرد مؤرخ أكاديمي، بل مثّل أحد أبرز رواد إعادة بناء الذاكرة التاريخية الجزائرية بمنهج علمي مستقل. فقد أسهم في تفكيك الرؤية الاستشراقية التي شوّهت تاريخ الجزائر، وأعاد الاعتبار للتاريخ المحلي والاجتماعي والبحري باعتبارها مكوّنات أساسية لفهم التاريخ الوطني. كما ترك إرثًا علميًا عميقًا انعكس في تأثيره على الأجيال الجديدة من الباحثين، وتجلّى ذلك في الاهتمام الأكاديمي المتواصل بأعماله، خاصة من خلال المبادرات العلمية التي كرّمت مسيرته، مما يؤكد مكانته البارزة في تطوير الدراسات التاريخية الجزائرية الحديثة.

1 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 313.

2 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 9.

# الفصل الثالث



إذا كان الفصلان السابقان قد اضطلعا بمهمة التعريف بمولاي **بلحميسي** من خلال مساره الحياتي والأكاديمي من جهة، وإسهاماته في تدوين التاريخ المحلي والبحري من جهة أخرى، فإن هذا الفصل الثالث يطمح إلى الذهاب أبعد من ذلك، إذ يسعى إلى الانتقال من مستوى التوصيف والتقييم العام إلى مستوى الفحص التطبيقي الدقيق لمنهجه في الكتابة التاريخية. وهذا الانتقال ليس ترفاً أكاديمياً، بل هو ضرورة منهجية تفرضها طبيعة الموضوع ذاته، لأن الحكم على مؤرخ ما بالرصانة العلمية أو ضعفها لا يستقيم إلا بالنزول إلى صميم عمله والفحص المباشر لآلياته وأدواته وطرائق تفكيره.[1]

ولعل أبرز ما يُسمّي بلحميسي عن غيره من المؤرخين الجزائريين المعاصرين هو أنه لم يكتفِ بإنتاج المعرفة التاريخية، بل أسهم في الوقت ذاته في بناء الأطر المنهجية التي تُنتج هذه المعرفة وتضبطهافهو باحث يُفكّر في التاريخ ويُفكّر في كيفية كتابة التاريخ في آنٍ واحد، وهذا ما يجعل دراسته من الزاوية التطبيقية أمراً بالغ الأهمية لكل باحث يريد فهم المدرسة التاريخية الجزائرية فهماً عميقاً[2]، وقد أشار الباحث لخضر بوطبة في دراسته حول جهود بلحميسي في كتابة تاريخ الجزائر الحديث إلى أن **"ما يُميّز بلحميسي حقاً ليس كثرة ما كتب، بل طريقة ما كتب، وهذه الطريقة تستحق دراسة مستقلة ومعمّقة لا تقل أهمية عن دراسة مضامين أعماله".**[3]

ومما يزيد من أهمية هذا الفحص التطبيقي أن **بلحميسي** لم يعمل في فراغ منهجي، بل كان يتحرك في ميدان بالغ الحساسية: إعادة كتابة تاريخ الجزائر في مواجهة موروث استشراقي راسخ يمتلك من الأدوات والمؤسسات ما لا يمتلكه الباحث الجزائري الذي يبدأ من الصفر في مرحلة ما بعد الاستقلال. وقد أدرك **بلحميسي** هذا التحدي بوعي حاد منذ الوهلة الأولى، فصرّح في أحد حواراته بأن تاريخ الجزائر كان يُختزَل في مسألة القرصنة وعذاب الأسرى الأوروبيين في الجزائر، في حين لم يكن ثمة من يتحدث عن الأسرى الجزائريين في أوروبا، وهو ما دفعه إلى **"حمل عصا التجوال" لجوب** أرشيفات حوض البحر المتوسط بحثاً عن الحقيقة المغيّبة.[4]

---

1 بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، ط.1، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 45-52.

2 لخضر بوطبة، "المؤرخ مولاي بلحميسي وجهوده في كتابة تاريخ الجزائر الحديث"، مداخلة/بحث جامعي منشور، ص 3-4.

3 المرجع نفسه، ص 4.

4 مولاي بلحميسي، الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، نقلاً عن: محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 3-4.

يعتمد هذا الفصل في دراسته التطبيقية على منظومة من المصادر والدراسات النقدية التي تناولت منهج بلحميسي بالتحليل، في مقدمتها: دراسة أمين كرشالي حول مصادر **بلحميسي** في كتاب البحرية والبحارة الجزائريين، ودراسة نور الدين بلعربي في منهجية الكتابة التاريخية عنده، وما أنتجته فاطمة حباش وأحمد رنيمة وخيرة بالساسي من قراءات نقدية وتحليلية معمّقة، فضلاً عن دراسة الدكتورة فوزية لزغم حول مساهمة بلحميسي في مجلة الأصالة، ودراسة الأستاذ الدكتور محمد بليل حول جهوده في التاريخ المحلي والوطني، وإعلان الملتقى **الوطني "مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة"** الذي نظّمته جمعية الظهرة بمازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر بجامعة وهران **1 سنة 2015م**[1]،

**ينقسم الفصل إلى مبحثين أساسيين:** يتناول الأول المنهج المصدري والوثائقي من خلال نموذجين تطبيقيين متكاملين، بينما يتوقف الثاني عند جوهر المشروع الفكري لبلحميسي وهو تفكيك المفاهيم الاستعمارية وتصحيحها، مع استجلاء مكانته في المدرسة التاريخية الجزائرية وأثره المتواصل في الأجيال اللاحقة.

**المبحث التمهيدي: خريطة الإنتاج الكتابي لبلحميسي ومساراته المنهجية.**

**المطلب الأول: الإنتاج المتنوع بين الكتاب والمقالة.**

لا يمكن دراسة منهج **بلحميسي** في الكتابة التاريخية بمعزل عن خريطة إنتاجه الكتابي الشاملة، إذ إن هذا الإنتاج يكشف في تنوعه عن منطق داخلي متماسك يوجّه الاختيارات المنهجية المختلفة. فقد ترك **بلحميسي** بعد وفاته رصيداً مهماً من الأبحاث والدراسات، قوامه حوالي عشرة مؤلفات وعشرات المقالات المنشورة في المجلات ذات الطابع العلمي والثقافي.[2]

- **وتكشف مؤلفاته الكبرى عن ثلاثة محاور تتوزع عليها اهتماماته:**

1 إعلان الملتقى الوطني "مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة"، جمعية الظهرة–مازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1، 2015م.

2 فوزية لزغم، مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 2–8.

- **أولها** محور التاريخ البحري والعثماني، ويمثله كتاب "**تاريخ البحرية الجزائرية (1516-1830م)**" الصادر في طبعته الأولى سنة **1986م** عن المؤسسة الوطنية للكتاب، وكتاب "**بحرية وبحارة الجزائر (1518-1830م)**" الذي صدرت طبعته الأولى سنة **1996م** عن المكتبة الوطنية الجزائرية في ثلاثة أجزاء، وكتاب "**الجزائر وأوروبا والحرب السرية (1518-1830م)**" سنة **1999م**، وكتاب "**الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية**" سنة **1988م**، وكتاب "**الجزائر مدينة الألف مدفع**" سنة **1990م**[1]،
- **ثانيها** محور التاريخ المحلي للمدن الجزائرية، ويمثله كتابا "**History of Mazouna**" الصادر سنة **1981م**، و"**History of Mostaganem**" الذي صدرت طبعته الثانية سنة **1982م**.
- **ثالثها** محور استحضار الشاهد النصي وتقريبه للباحثين، ويمثله كتاب "**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**" الصادر سنة **1981م**.[2]

ولا يمكن فهم طريقته في التعامل مع الأرشيف الأوروبي بمعزل عن طريقته في نشر النصوص العربية وتحقيق المخطوطات، كما لا يمكن فهم موقفه من المفاهيم الاستعمارية بمعزل عن مشروعه في كتابة تاريخ المدن الجزائرية. وهذا الترابط العضوي بين مختلف مستويات الإنتاج هو ما يجعل دراسته التطبيقية أمراً ضرورياً لا ترفاً أكاديمياً[3]،

وما يلفت الانتباه في هذه الخريطة الإنتاجية هو أن **بلحميسي** لم يكن يكتب بمنطق التخصص المغلق، بل كان يتحرك بين هذه المحاور بوعي منهجي واضحوقد أشار الباحث علي أجقو في محاضراته حول تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية إلى أن بلحميسي يُمثّل نموذجاً نادراً من "**المؤرخ الشامل الذي يعمل على جميع المستويات في آنٍ واحد: المحلي والوطني والمتوسطي والدولي**".[4]

**المطلب الثاني: إسهامات بلحميسي في مجلة الأصالة وأبعادها المنهجية.**

---

1 شويتن أرزقي، "بيوغرافية مولاي بلحميسي من خلال مؤلفاته التاريخية"، ندوة فكرية، مستغانم، أفريل 2015م، نقلاً عن: محمد بليل، مرجع سابق، ص 4.

2 محمد بليل، جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني، مرجع سابق، ص 12.

3 بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 47-52.

4 علي أجقو، محاضرات في تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية (1514-1837م)، ج.1، ط.2، مكتبة باتنيت، باتنة، الجزائر، 2010م، ص 23-28.

تُمثّل مقالات **بلحميسي** في مجلة الأصالة نافذة استثنائية على مراحل تشكّل منهجه وتطوره، إذ تمتد على فترة سبع سنوات (**1971 ـ 1977م**)، وتكشف في تنوعها عن أساليب كتابية مختلفة يوظّفها **بلحميسي** بحسب طبيعة الموضوع والهدف المنشودوقد كشفت الدكتورة فوزية لزغم في دراستها التحليلية المستفيضة لهذه المقالات عن أربعة أساليب متمايزة يعتمدها **بلحميسي** في تناول التاريخ العام للمدن الجزائرية: الدراسة التاريخية المنهجية الشاملة، وعرض النصوص المقتبسة من مصدر واحد مع تحليلها ومناقشتها، وعرض نصوص متعددة من مصادر مختلفة دون حكر، وأخيراً جرد المصادر والمراجع الخاصة بالمدينة موضوع الدراسة.[1]

ومن أبرز مقالاته في هذه المجلة التي تكشف عن منهجه في أجلى صوره مقالة "**مدينة المدية عبر العصور**" (**1971م**)، ومقالة "**غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (948هـ/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية**" (**1972م**)، ومقالة "**المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني**" (**1973م**)، ومقالة "**مدينة ورقلة في رحلة العياشي**" (**1977م**)[2]، وتكشف هذه المقالات مجتمعةً عن سمة جوهرية في منهج **بلحميسي** وهي الميل إلى تقريب النصوص التاريخية من الباحثين، وهو ميل لم يكن ترفاً فكرياً بل كان ضرورة تفرضها طبيعة المرحلة.

وتجدر الإشارة إلى أن مقالة "**المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني**" تحتل مكانة خاصة في هذا السياق، إذ تُجسّد أوضح تعبير عن موقفه النقدي المبكر من الكتابة الاستشراقية الفرنسيةففي هذه المقالة يُقدّم بلحميسي جرداً نقدياً لأعمال المؤرخين الفرنسيين الذين تناولوا تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مُبيّناً بدقة التحيزات الأيديولوجية الكامنة في كتاباتهم والثغرات المنهجية التي تشوب أعمالهم[3]، وهو بذلك يُؤسّس لمنهجه النقدي المزدوج الذي يرفض كلاً من الرفض المطلق للمصدر الأوروبي والقبول الأعمى له.

**المبحث الأول: المنهج المصدري والوثائقي عند بلحميسي (دراسة تحليلية).**

---

1 فوزية لزغم، مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 18-22.

2 مولاي بلحميسي، "المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني"، مجلة الأصالة، ع.14-15، الجزائر، ماي-جوان-جويلية-أوت 1973م.

3 مولاي بلحميسي، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، مج.3، ع.2، الجزائر، جوان 1988م.

لا يمكن تقييم أي إنتاج تاريخي بمعزل عن منظومة المصادر التي يرتكز إليها، لأن قيمة البحث التاريخي مرهونة أساساً بنوعية هذه المصادر وتنوعها وطريقة توظيفها**وبلحميسي** في هذا الشأن يمثل نموذجاً استثنائياً في الكتابة التاريخية الجزائرية المعاصرة، إذ جمع في أعماله بين صنفين من المصادر نادراً ما يلتقيان بهذا المستوى من العمق والرصانة: المصادر العربية المحلية من جهة، والوثائق الأرشيفية الأوروبية من جهة أخرى.[1]

وقد أشار الباحث أمين كرشالي إلى هذه الميزة بوضوح حين لاحظ أن **بلحميسي "كان إلى جانب تمكّنه من اللغة العربية متقناً للغة الفرنسية والإنجليزية، إضافة إلى تعامله مع المصادر الإيطالية والإسبانية"**، وهو ما منحه إمكانية الرؤية متعددة الزوايا لموضوعاته التاريخية بصورة لا يستطيعها باحث يقتصر على لغة واحدة أو مصدر واحد.[2]

**المطلب الأول: كيف وظّف الأرشيف الفرنسي لإدانة الاستعمار؟ (نموذج تطبيقي: وثائق محرقة الظهرة 1845م).**

- **أولاً: الإطار المنهجي العام لتعامل بلحميسي مع الأرشيف الأوروبي.**

قبل الخوض في النموذج التطبيقي المحدد، لا بد من استيعاب الفلسفة المنهجية التي حكمت تعامل **بلحميسي** مع الأرشيف الأوروبي عموماً والفرنسي خصوصاًفهو لم يقع في أيٍّ من الخطأين المتقابلين اللذين يقع فيهما كثير من الباحثين: لا الرفض المطلق للوثيقة الأوروبية بدعوى تحيّزها وانحيازها الاستعماري، ولا القبول الأعمى بها على أساس أنها نتاج مؤسسات أكاديمية غربية ذات تقاليد بحثية راسخة. بل سلك طريقاً ثالثاً أكثر صعوبةً ونضجاً، يقوم على ما يمكن تسميته **"القراءة التشريحية للوثيقة"**، أي تفكيك مكوّناتها الداخلية والتمييز بين طبقاتها المختلفة.[3]

وقد صاغ **بلحميسي** هذه الفلسفة المنهجية بصورة صريحة في مقدمة كتابه عن البحرية، إذ نبّه إلى أن الكتابات الأجنبية المتعلقة بالجزائر **"لم تكن تبتعد عن أحكام وأوصاف المؤرخين الأوربيين إبان تلك الحقبة"**، مُبيّناً أن **"أغلب تقارير القناصل المقيمين في الجزائر وكذا مراسلات الجواسيس وكتابات الرهبان والرحالة، كانت تحذو حذو المؤرخين الأوربيين المتعصبين"**، وأن هؤلاء **"لم يحتكوا**

---

1 المرجع نفسه.

2 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1518-1830م)"، مرجع سابق، ص 6.

3 المرجع نفسه، ص 6-7.

**بالسكان احتكاكاً كافياً، لذلك اقتنعوا بالأفكار المسبقة والروايات الضالة والأغاليط المقصودة".**[1]

غير أن هذا التشخيص النقدي الحاد لم يدفعه إلى الاستغناء عن هذه الوثائق كلياً، لأنه يُدرك أن الوثيقة المتحيزة تظل وثيقة تاريخية تنطوي على معطيات مادية يمكن استثمارها بعين ناقدةوالمنهج الصحيح في نظره يقتضي أن نُفرّق في أي وثيقة أوروبية تتعلق بالجزائر بين ثلاثة مستويات: مستوى المعطيات المادية الموضوعية كالأرقام والتواريخ والوقائع الموثقة، ومستوى التفسيرات والتأويلات التي يُضفيها كاتب الوثيقة على هذه المعطيات وهو المستوى الذي يظهر فيه التحيز بأجلى صوره، ومستوى الصمت والغياب الذي كثيراً ما يكون أبلغ من الكلام إذ يكشف ما يُراد إخفاؤه.[2]

وقد دعّم هذا الموقف المنهجي ما أثبته الباحث مبارك شوادر في أطروحته الدكتورية الرائدة حول الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها في الأرشيف الوطني الجزائري، من أن **"الأرشيفات الاستعمارية الفرنسية تحتوي في ثناياها على ما يُفنّد روايتها الرسمية ذاتها، وأن الباحث المدرّب يمكنه استخراج هذه التناقضات الداخلية بالقراءة المتأنية والمقارنة الدقيقة".**[3]

- **ثانياً: رحلة بلحميسي بين الأرشيفات الأوروبية.**

أمضى **بلحميسي** ما يزيد على عقد كامل يمتد من **1972** إلى **1986م** بجوب أرشيفات عدة مدن فرنسية وأوروبية، في رحلة بحثية استثنائية بكل المقاييسوقد أحصى الباحث أحمد رنيمة جملة الأرشيفات التي اعتمدها بلحميسي في أعماله، وكانت تشمل: "**أرشيف غرفة التجارة البحرية في مرسيليا، وأرشيف القنصلية الفرنسية في الجزائر، وأرشيف مقاطعة بوش دو رون، والأرشيف البحري العسكري في طولون، وأرشيف الحكومة العامة للجزائر الممتد من 1516 إلى 1830م، والأرشيف الوطني في باريس".**[4]

---

1 مبارك شوادر، الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671-1830م) في الأرشيف الوطني الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2020م، ص 45-52.

2 أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (1930-2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، عصور الجديدة، مج.2، ع.4، 2012م، ص 296-297.

3 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1518-1830م)"، مرجع سابق، ص 2.

4 دراسة "من سياسة الإبادة الفرنسية محرقة غار الفراشين 19 جوان 1845"، منشورة على ASJP، ص 3-5.

وما يجعل هذا الجهد الأرشيفي استثنائياً هو أن بلحميسي كان يعمل في ظروف بحثية بالغة الصعوبة مقارنة بما هو متاح للباحثين اليوم، إذ لم يكن التصوير الرقمي متاحاً في كثير من هذه الأرشيفات، فاضطر إلى استنساخ الوثائق بخط يده في حالات كثيرة، متواصلاً أشهراً في قاعات الأرشيف يتصفح السجلات ويدوّن الملاحظات ويصنّف الوثائق حسب موضوعاتها وتواريخها. وقد نبّه الباحث أمين كرشالي إلى أن **بلحميسي** لم يكتفِ في توثيق معلوماته بالإحالة العامة إلى هذه الأرشيفات، بل كان يُشير في الهوامش أحياناً إلى محل الشاهد بالحرف العربي عند اقتباسه لنص عربي، وأن "**معدل الأسطر المخصصة للتهميش في كل الصفحات قد يتجاوز ثلاثة أسطر، وأحياناً يبلغ عدد المعلومات التي تم التهميش لها أكثر من خمس معلومات**".[1]

- **ثالثاً: نموذج تطبيقي ـ وثائق محرقة الظهرة 1845م.**

تُعدّ محرقة الظهرة التي نفّذها الجنرال الفرنسي بيليسييه عام **1845م** من أكثر جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر وحشيةً وفداحةً، حيث أقدمت القوات الفرنسية على إشعال النار عند مداخل الكهوف التي لجأ إليها المدنيون الجزائريون فراراً من حملات القمع، فاختنق بدخانها المتصاعد مئات من الرجال والنساء والأطفال[2]، والدلالة المنهجية البارزة في هذا الملف التاريخي هي أن **بلحميسي** لم يكتشف هذه الجريمة من مصادر جزائرية أو عربية، بل وجد الوثائق التي تُثبتها في الأرشيف الفرنسي ذاتهونا بالضبط تتجلى عبقريته المنهجية: فهو يُسلّط ضوء الأرشيف الاستعماري على جرائم الاستعمار، ويوظّف الوثيقة التي أُنتجت داخل المنظومة الاستعمارية ضد هذه المنظومة ذاتها.[3]

ويمكن فهم هذه الآلية من خلال ملاحظة دقيقة: التقارير العسكرية الداخلية الموجّهة من الضباط الميدانيين إلى قياداتهم عبر القنوات السرية كانت تُعدّ لأغراض إدارية بحتة، وكاتبها لا يمثل أمام الرأي العام ولا يحتاج إلى التجميل والتبرير، لذا يظهر فيها وصف أكثر أماناً وصدقاً لما جرى فعلاً على أرض المعركة. في المقابل، الخطابات الرسمية والتصريحات المعلنة المصاغة للاستهلاك السياسي

1 دراسة "جريمة إبادة قبيلة أولاد رياح عام 1845"، منشورة على ASJP، ص 7-9.

2 مبارك شوادر، الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671-1830م) في الأرشيف الوطني الجزائري مرجع سابق، ص 78-85.

3 دراسة "جريمة إبادة قبيلة أولاد رياح عام 1845"، مرجع سابق، ص 10-12.

والإعلامي تنطوي على كميات وفيرة من الأيديولوجيا الاستعمارية والتبريرات الحضارية التي تُحوّل الجريمة إلى "**ضرورة عسكرية**" أو "**حتمية حضارية**".[1]

وقد وثّقت الدراسة المنشورة حول "**جريمة إبادة قبيلة أولاد رياح عام 1845**" **والدراسة الأخرىحول "من سياسة الإبادة الفرنسية محرقة غار الفراشين19جوان1845**" أن الأرشيف العسكري الفرنسي يحتوي على ما يُثبت علم القيادة العسكرية الفرنسية بما جرى وإقرارها الضمني به في المراسلات

الداخلية[2]،وهذاالتوثيقالأرشيفيالذيأنجزه**بلحميسي**ومنجاءبعدهيُجسّدالمبدأالمنهجيالقائلبأن"**الأرشيفلايُقرأ من وجهه بل من باطنه**"

- **رابعاً: المصادر العربية المحلية ـ الطرف المكسّل.**

لم يكن توظيف الأرشيف الأوروبي عند بلحميسي يسير في اتجاه واحد، بل كان دائماً يُقابَل بمصادر عربية محلية تُعيد رسم الصورة من زاوية مغايرةوقد حدّد **بلحميسي** نفسه في مقدمة كتابه عن البحرية أبرز المصادر العربية التي اعتمد عليها، وهي: رحلة ابن حمادوش "**لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**"، ورحلة التمكروتي "**النفحة المسكية في السفارة التركية**"، وكتاب "**غزوات عروج وخير الدين**" لمؤلف مجهول تعهّد بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر ونُشر سنة **1934م** عن المطبعة الثعالبية[3]،ومذكراتالحاجأحمدالشريفالزهار.[4]

وما يلفت الانتباه في تعامل **بلحميسي** مع هذه المصادر العربية هو أنه لم يعدّها مصادر مقدّسة محرّصة من النقد بحكم انتمائها الثقافي والحضاري. فقد نبّه الباحث أمين كرشالي إلى أن بلحميسي وثّق في مقدمة كتابه إلى أن هذه الكتابات العربية "**أولت اهتماماً خزولاً في المعارك البحرية وكذا إهمالها للترجمة لطبقات الرياس وتجاهلها لتفاصيل حياتهم**

---

1 غزوات عروج وخير الدين، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، مقدمة المحقق.

2 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 4-5.

3 المرجع نفسه، ص 4.

4 أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان لوفن وأندري فيري، ج.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 745-780.

**الاجتماعية**"[1]،وهذاالحكمالنقديعلىمصادرهالموروثةدليلعلىأنالمنهجالعلميعندهلايعرفالمناطقالمحصّنةولا يختلف ميدان النقد بحسب هوية المصدر وانتمائه.

ويستعين **بلحميسي** في هذا السياق أيضاً بالمصادر التراثية الجغرافية والتاريخية التي تقدّم معطيات أساسية عن المدن الجزائرية قبل الحقبة العثمانية وفي مستهلهافمؤلفات أبي عبيد البكري كـ"**المسالك والممالك**" و"**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" تُقدّم إطاراً جغرافياً وتاريخياً لا غنى لفهم الفضاء الذي ستعمل فيه الإيالة الجزائرية لاحقًا، وكذلك كتاب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* لمحمد الإدريسي، الذي يقدّم وصفًا جغرافيًا دقيقًا للمدن والمواضع المغاربية، مما جعله مرجعًا أساسيًا لا غنى عنه في تحديد هوية الأماكن الواردة في وثائق الحقبة العثمانية.

## المطلب الثاني: منهجه في تحقيق المخطوطات (نموذج تطبيقي: مخطوط غزوات عروج وخير الدين).

### ✓ أولاً: فلسفة التحقيق ـ لماذا النص قبل التاريخ؟.

كان **بلحميسي** يحمل قناعة راسخة مفادها أن التاريخ الصحيح يبدأ من الوثيقة الصحيحة، وأن أي بناء تاريخي مهما بدا رصيناً وشامخاً لا يعدو كونه هشّاً وقابلاً للانهيار إذا كانت قاعدته النصية مشوّهة أو مزوّرةومن هذا المنطلق لم يكن مشروعه في تحقيق المخطوطات ترفاً أو هامشاً في مساره البحثي، بل كان قلباً نابضاً في المشروع الفكري الأكبر المتعلق بإعادة بناء التاريخ الجزائري.[2]

والتحقيق بهذا المعنى العميق ليس مجرد تصحيح الأخطاء الإملائية وضبط الشكل اللغوي، بل هو في جوهره إعادة الحياة لصوت كُسّيت معالمه أو تُعويّت وليهذا رأى بلحميسي أن نشر النصوص التاريخية بصورتها الصحيحة المحققة هو فعل سياسي ومعرفي في آنٍ واحد، لا يقل أهمية عن كتابة الدراسات والتحليلات. وقد أكّد الباحث خالد بن عبد الكريم البكر في دراسته حول مهارات قراءة

1 الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج.1، ط.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 252-270.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، عصور، مج.21، ع.1، جامعة وهران 1، جويلية 2022م، ص 318.

النصوص التاريخية أن "**المحقق الحقيقي للنص التاريخي لا يؤدي وظيفة تقنية محضة بل يقوم بعمل مؤرخ حين يُحدد زمان النص ومكانه وسياقه وعلاقته بنصوص أخرى**"[1].

وقد أبدى **بلحميسي** انتقاداً حاداً ومدروساً لما وقع فيه المستشرقون الفرنسيون من أخطاء جسيمة حين تصدّوا لتحقيق النصوص الجزائرية أو ترجمتها. فقد وثّق الباحث نور الدين بلعربي أن **بلحميسي "انتقد بشدة ترجمة بربروجر (Berbrugger) لبعض النصوص، مُوضّحاً كيف أن الجهل بجغرافية الجزائر المحلية العميقة ومصطلحاتها الصوفية أدى إلى تحريف المعاني"**[2]، وهذا النوع من النقد الدقيق المستند إلى الخبرة الميدانية بالجغرافيا المحلية والثقافة الدينية هو ما يُسمّي المحقق الحقيقي عن الجاهل بالمجال.

✓ **ثانياً: مخطوط غزوات عروج وخير الدين ـ التعريف والسياق.**

يُعدّ مخطوط "**غزوات عروج وخير الدين**" من أبرز النصوص التاريخية التي تتناول نشأة الإيالة الجزائرية العثمانية في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلاديوهو كتاب لمؤلف مجهول يروي سيرة الأخوين بربروس وغزواتهما البحرية ضد القوى الإسبانية، وكيف تحوّلت هذه الغزوات من مجرد عمليات بحرية إلى مشروع سياسي وعسكري أسفر عن تأسيس الحكم العثماني في المغرب الأوسط.[3]

وقد رصد الباحث أمين كرشالي العلاقة بين هذا المخطوط ومصادر أخرى مجاورة، مشيراً إلى أن "**المعلومات الموجودة في كتاب الغزوات تتشابه مع ما هو موجود في كتاب مذكرات خير الدين بربروس، والتي أملاها خير الدين بطلب من السلطان العثماني سليمان**"، وهو ما يفتح تساؤلاً تاريخياً مثيراً يميل إليه كرشالي نفسه وهو "**أن صاحب الغزوات اقتبس من مذكرات خير الدين**"[4]،وكانعلىالمحققالكفءالانتباهإلىهذهالعلاقةالتناصيةوأخذهافيالحسبانعندتقييمدرجةموثوقيةكلمنه

1 خالد بن عبد الكريم البكر، مهارات في قراءة النصوص التاريخية: تطبيقات على نماذج من التاريخ الإسلامي، ط.1، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2018م، ص 45-52.

2 د. نورالدين بلعربي،"قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 318.

3 غزوات عروج وخير الدين، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م.

4 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 5.

ذينالنصينوتُشكّلمذكراتخيرالدينبربروسالتيتُرجمتإلىالعربيةبقلممحمددراجمصدراًمرجعياًمكمّلاًلكتابالغزوات يُعين على فهم السياق البحري والسياسي لتأسيس الإيالة الجزائرية.[1]

وكانت هذه المخطوطة حين تناولها بلحميسي في حالة نصية متردّية، إذ تعدّدت نسخها وتراكمت أخطاؤها عبر القرون في مسار النسخ والنقل، مما أفضى إلى اضطراب في الأسماء الجغرافية التي كثيراً ما كُتبت بأشكال مختلفة من نسخة إلى أخرى، وتشويه في التواريخ وخلط في تسلسل الأحداث وغموض في بعض المصطلحات التقنية المتعلقة بالملاحة البحرية.[2]

✓ **ثالثاً: مراحل عمل بلحميسي في التحقيق.**

**سار بلحميسي في تحقيق هذا المخطوط وفق منهجية علمية متكاملة ومتدرّجة تجمع بين الفقه اللغوي والنقد التاريخي والمعرفة الجغرافية الميدانية، وتتّضح هذه المنهجية في مراحل متتالية ومتداخلة:**

**أ- المرحلة الأولى: جمع النسخ ومقارنتها:** وهي مرحلة شاقة تتطلب التواصل مع مكتبات في بلدان متعددة والحصول على صور عن النسخ المختلفة من المخطوط، ثم الجلوس أمامها والمقارنة بينها سطراً سطراً وكلمةً كلمة للوصول إلى النص الأدق والأقرب للأصلوكان **بلحميسي** يستند إلى معايير علمية دقيقة تشمل عمر النسخة وسند ناقليها ومدى توافق قراءاتها مع المصادر الموازية.

**ب- المرحلة الثانية: التحقيق النصي الصارم:** بضبط المتن اللغوي من خلال تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية والبلاغية المتراكمة، وتحقيق الأعلام والأماكن والتواريخ بالرجوع إلى معاجم الأعلام التاريخية ومصادر مقارنة عربية وأوروبية.[3]

**ج- المرحلة الثالثة: رسم مسار الأحداث على الخريطة:** وهي المرحلة التي تكشف عن عمق الخبرة الجغرافية الميدانية عند **بلحميسي** بصورة مثيرة للإعجابفقد أشار الباحث نور الدين بلعربي إلى أنه **"قام بإعادة رسم مسار الرحلة على الخريطة الحديثة، مُصحّحاً أسماء المواضع التي طمستها**

---

1 مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، مقدمة المترجم.

2 أمين كرشالي، مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830-1518م)"، مرجع سابق، ص 5.

3 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 318.

**الإدارة الاستعمارية، ليُعيد بذلك للذاكرة الجغرافية الجزائرية هويتها الأصلية**"[1]،وهذاالربط بين النص التاريخي والفضاء الجغرافي هو ما يجعل التحقيق عند **بلحميسي** ممارسةً تاريخية متكاملة لا مجرد عملية تقنية لغوية.

**د- المرحلة الرابعة: التحليل النقدي للمضمون:** وهي أرقى المراحل وأشدّها تطلباً للحد النقدي والخبرة التاريخية الواسعة. فبلحميسي لم يقبل المعلومات الواردة في المخطوط على عواهنها، بل أخضعها لمحك النقد المقارن، مُفرّقاً بين ما يمكن التثبت منه من خلال مصادر متعددة ومتقاطعة، وبين ما ينطوي على مبالغة بطولية أو خلط بين الرواية الأسطورية والوقيعة التاريخية.

**هـ- المرحلة الخامسة: إضافة الحواشي التفسيرية والسياق التاريخي:** حيث أرفق بلحميسي النص المحقق بحواشٍ علمية وافية تشرح المصطلحات الغامضة وتُفسّر الإشارات التاريخية وتُقدّم للقارئ السياق الذي يجعل النص مفهوماً وهذه الحواشي بحد ذاتها تُشكّل دراسةً تاريخية مستقلة أُضيفت إلى النص المحقق، مما يُحوّل الكتاب من مجرد طبعة محققة إلى أداة بحثية متكاملة.[2]

✓ **رابعاً: الأبعاد المعرفية والسياسية للتحقيق.**

ما يرفع عمل **بلحميسي** في التحقيق من مستوى المهارة التقنية إلى مستوى المشروع الفكري هو إدراكه العميق للأبعاد المعرفية والسياسية لهذا العمل الذي قد يبدو في الظاهر رتيباً وجافاًفإحياء النصوص التاريخية الجزائرية ونشرها بصورتها الصحيحة المحققة يعني في السياق الجزائري ما بعد الاستعماري أشياء جوهرية عدة[3]،وقد أكّد الباحث سيد أحمد القرباص يفيد دراسته حول شوامخ المؤرخين الجزائريين أن "بلحميسي أدرك، قبل غيره، أن الذاكرة التاريخية لا تُحفظ بالخطاب فقط، بل بالوثيقة الصحيحة والنص المحقق الموثوق."[4]

---

1 المرجع نفسه، ص 318.

2 أمين كرشالي،مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1518-1830م)"، مرجع سابق، ص 5-6.

3لخضر بوطبة، "المؤرخ مولاي بلحميسي وجهوده في كتابة تاريخ الجزائر الحديث"، مرجع سابق، ص 5-6.

4 سيد أحمد القرباصي، شوامخ المؤرخين الجزائريين، دراسة مخطوطة، ص 34.

بعد استعراضنا التحليلي لمنهج الأستاذ مولاي بلحميسي، وتفكيكنا لآليات معالجته للوثائق التاريخية، نصل إلى قناعة بأن صرامة هذا المنهج في الجانب الأرشيفي تستدعي – في ظل تطور أدوات البحث التاريخي – نوعاً من التطوير المنهجي الذي يربط بين 'التنظيم' و'التحليل'. وانطلاقاً من ذلك، نقترح إضافات إجرائية لتعزيز كفاءة هذا المنهج، نوجزها في الآتي:

- **تبني البطاقة الدلالية:** نقترح أن لا يقتصر تصنيف الوثيقة على بياناتها الخارجية، بل يُضاف حقل خاص بـ 'المقصدية الحجاجية'؛ للإجابة عن سؤال: 'لماذا كُتبت هذه الوثيقة؟'، مما ينقل الوثيقة من حالة السكون الأرشيفي إلى حالة الاستنطاق المعرفي.
- **مبدأ التشبيك الوثائقي:** نقترح تجاوز التصنيف الأحادي للوثائق نحو منهجية 'الشبكة'، حيث يتم ربط الوثيقة (الوثيقة المحورية) بمثيلاتها زمنياً وموضوعياً، مما يشكل دورة حياة كاملة للقرار التاريخي، ويمنع تجزئة الحدث التاريخي.
- **إدراج النقد الداخلي كمعيار للمعالجة:** نقترح أن تتضمن مرحلة المعالجة في نموذج بلحميسي خطوة إجبارية تتعلق بـ 'البنية الخطابية' (تحليل الافتتاح، الروابط، وأساليب الاستمالة)، وهو ما يمنح الباحث مادة جاهزة للتحليل بمجرد فتح الملف الأرشيفي.

## المبحث الثاني: تفكيك المفاهيم الاستعمارية وتصحيحها، ومكانة بلحميسي في المدرسة التاريخية الجزائرية.

إذا كان المبحث الأول قد توقف عند الأدوات والوسائل المنهجية **لبلحميسي** في تعامله مع المصادر، فإن هذا المبحث يرتقي إلى مستوى أعمق وأكثر إثارة للجدل، هو مستوى الاشتباك الفكري المباشر مع الإرث الاستشراقي من خلال تفكيك مفاهيمه الأساسية وإعادة بنائها على أسس أكثر موضوعية،**فبلحميسي** يُدرك أن المعركة الحقيقية لإعادة كتابة التاريخ الجزائري لا تبدأ من الأحداث والوقائع، بل تبدأ من قبلها بكثير: من المصطلحات والمفاهيم التي نُسمّي بها هذه الأحداث ونُؤشّرها.[1]

1 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 82.



## المطلب الأول: من "القرصنة" إلى "الجهاد البحري" ـ دراسة تحليلية لنصوص بلحميسي.

- **أولاً: تشريح المشكلة المفاهيمية.**

تُشكّل مسألة المصطلح في التأريخ للبحرية الجزائرية خلال الفترة العثمانية نموذجاً بديعاً على الكيفية التي تعمل بها الهيمنة المعرفية عبر اللغةفمصطلح "**القرصنة**" (**Piraterie**) الذي استخدمته الكتابات الاستشراقية الفرنسية والأوروبية عموماً لوصف النشاط البحري الجزائري لم يكن مصطلحاً ثابتاً محايداً من الناحية المعرفية، بل كان يحمل في ثناياه منظومة كاملة من الأحكام المسبقة: العشوائية والفوضى وغياب الشرعية القانونية والإجرام المنظم وانعدام أي إطار مؤسسي منظم.[1]

وحين تُطبَّق هذه المنظومة المفاهيمية بكامليها على البحرية الجزائرية، يصبح الاستنتاج النهائي محدداً سلفاً ومُقنَّناً: الجزائر لم تكن دولة بالمعنى الحقيقي، وبحارتها لم يكونوا ممثلين لكيان سيادي بل مجرد مجرمين مسلحين، وبالتالي كان التدخل الأوروبي لإسكاتهم مشروعاً بل وواجباً من منظور ما كانت تُسمّيه الكتابات الاستشراقية "**الرسالة الحضارية الأوروبية**"، وقد أدرك **بلحميسي** بحسّه النقدي الحاد أن المعركة الحقيقية تبدأ من هذا المصطلح تحديداً، إذا قبلنا بمصطلح "**القرصنة**" بكل البنية التفسيرية الاستعمارية المتشعبة التي أفرزته ونرتكز عليها نكون قد قبلنا ضمناً وسلفاً بكل الموقف الاستعماري من الجزائر العثمانية.[2]

وقد تجلّى موقفه من هذا المصطلح في صياغة واضحة ومباشرة دوّنها في أعماله: **"ما يُسمّيه الغربيون بالقرصنة هو في الحقيقة حرب الكورس (Course)، أي شكل من أشكال الحرب البحرية المشروعة والمنظّمة، لها قوانينها وتنظيماتها وأهدافها الدولية"**[3]،وهذ االتمييز المصطلحي الجوهري يستدعي بطبيعة الحال بنية حجاجية متماسكة تُسنده وتُثبته بالأدلة الوثائقية.

- **ثانياً: البنية الحجاجية لإعادة التعريف.**

لميكتفِ بلحميسي بمجرد رفض المصطلح الاستشراقي واستبداله بآخر، لأن هذا وحده لا يُشكّل حجةً علمية مقنعةبل أسّس لموقفه المصطلحي من خلال منظومة متماسكة من الحجج

---

1 ليلى صباغ الدرويش، الوطنية والمحلية في الكتابة التاريخية، ط.1، دار القلم، دمشق، 1995م، ص 78-85.

2 خيرة بالساسي، مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص 82.

3 أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (2009-1930م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 222-223.

التاريخية الموثّقة بالأرشيف والوثائق، يمكن عرضها وفق تدرّج منطقي يكشف عمق البنية الحجاجية لديه:

**أ- الحجة الأولى: الشرعية الدولية الموثّقة بالمعاهدات:** أثبت **بلحميسي** من خلال وثائق أرشيفية أن الجزائر أبرمت معاهدات رسمية مع دول أوروبية كبرى، واستدل بهذه المعاهدات على أن القوى الأوروبية نفسها كانت **"تعترف بحكم الواقع (De facto) بأن البحرية الجزائرية هي أسطول دولة تمتلك الحق في الحرب والسلم"**. ومن أبرز هذه المعاهدات التي وثّقها الباحث جمال قنان في دراسته التفصيلية حول معاهدات الجزائر مع فرنسا: معاهدة **1619م**، ومعاهدة **1681م**، ومعاهدات الفترة الممتدة بين **1724 و1790م**.[1]

**ب- الحجة الثانية: التنظيم الإداري المؤسسي:** أثبت بلحميسي أن البحرية الجزائرية لم تكن ظاهرة فوضوية عشوائية بل كانت مؤسسة دولة لها هيكلها الإداري المحدد، من ديوان البحر إلى رياس السفن إلى نظام الترقيات والأجور وتوزيع الغنائمويؤيد هذا الطرح ما أثبته المؤرخ علي أجقو في دراسته حول مؤسسات الدولة الجزائرية من أن **"الإيالة الجزائرية طوّرت على مدى قرون نظاماً مؤسسياً متكاملاً لا يستقيم وصفه بالفوضى أو العشوائية"**.[2]

**ج- الحجة الثالثة: الانتقائية الاستراتيجية في العمليات:** بيّن بلحميسي أن البحرية الجزائرية لم تكن تُهاجم السفن بشكل عشوائي يتناسب مع نمط القرصنة المزعوم، بل كانت توجّه عملياتها بدرجة رئيسية ضد إسبانيا وكانت تتجنب في الغالب مهاجمة حلفائها التجاريينوهذا الانتقاء الاستراتيجي يدل على وجود سياسة خارجية واضحة المعالم تخدم مصالح الدولة لا على نزوات عشوائية للنهب الفردي.[3]

**د- الحجة الرابعة: السياق الدفاعي الوجودي:** ولعلها أعمق حجج بلحميسي وأكثرها أهمية من الناحية التاريخية والأخلاقية معاً. فالبحرية الجزائرية لم تنشأ في فراغ بل كانت ردّاً دفاعياً مباشراً على

---

1 جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، ط.1، دار هوكة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 34-55.

2 علي أجقو، محاضرات في تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية، مرجع سابق، ص 45-52.

3 أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (1930-2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 223.

الخطر الإسباني الوجودي الماثلوأن يُسمّى هذا الرد الدفاعي "قرصنة" يعني بالضبط تحميل الضحية مسؤولية ردّها المشروع على العدوان الواقع عليها.[1]

- **ثالثاً: البعد الإنساني ـ البحارة بوصفهم شخصيات تاريخية.**

من أكثر جوانب مشروع **بلحميسي** أصالةً وتميزاً تلك المقاربة الإنسانية التي أضفاها حول البحرية. فبدلاً من الاكتفاء بالإشارة إلى "**ألفبحار**" أو نسب مئوية في جداول إحصائية، تناول **بلحميسي** البحارة بوصفهم رجالاً حقيقيين لهم عائلات وشموحات وصراعات اجتماعيةوقد درس بالتفصيل التركيبة البشرية للأسطول التي أثبت أنها كانت "**مؤسسة كوزموبوليتية**" تضم في صفوفها أتراكاً وكراغلة وعرباً وأمازيغ وأندلسيين و"**علوجاً**" أوروبيين اعتنقوا الإسلام أو أُكرهوا على الخدمة.[2] وهذا التنوع الإثني والديني في تركيبة الأسطول يجحد أطروحة المدرسة الاستشراقية القائلة بأن البحرية الجزائرية كانت جسماً غريباً مُفروضاً على المجتمع الجزائريوقد أكد الباحث عادل نويهض في معجمه حول أعلام الجزائر أن كثيراً من الرياس الذين اشتهروا في تاريخ البحرية الجزائرية كانوا من أصول جزائرية محلية أو من أصول أندلسية انصهرت في المجتمع الجزائري وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منه.[3]

- **رابعاً: تقييم نقدي موضوعي.**

لا يمكن لباحث موضوعي أن يتجاهل ما أثاره مشروع بلحميسي المصطلحي من جدل أكاديمي مشروعفقد رأى بعض الباحثين أن تسمية "**الجهاد البحري**" تنطوي هي الأخرى على بُعد ديني وأيديولوجي قد يُقيّد الحياد العلمي بدلاً من تعزيزهوهذا الجدل مشروع من الناحية الأكاديمية، بل إنه في نظر الباحثة ليلى صباغ الدرويش دليل عافية وحيوية المجال، إذ تُؤكد في دراستها حول الوطنية والمحلية في الكتابة التاريخية أن "**المؤرخ الذي لا يُثير جدلاً مؤرخٌ لم يقل شيئاً جديداً**".[4]

---

1 لخضر بوطبة،"المؤرخ مولاي بلحميسي وجهوده في كتابة تاريخ الجزائر الحديث"، مرجع سابق، ص 7.

2 مولاي بلحميسي، بحرية وبحارة الجزائر (1518-1830م)، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1996م، الجزء الثاني، ص 1-10.

3 عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1982م، ص 234-240.

4 ليلى صباغ الدرويش، ، الوطنية والمحلية في الكتابة التاريخية مرجع سابق، ص 112.

وبلحميسي جرّك نفسه لم يدّع في أي موضع من أعماله أنه وصل إلى حقيقة نهائية مغلقة، بل كان يُدرك أن مشروعه يفتح نقاشاً أكثر مما يُقدّم إجابات نهائية. والمشروع الفكري الحقيقي لا يُقيَّم بعدد الإجابات النهائية التي يُقدّمها، بل بنوعية الأسئلة التي يُثيرها وعمق التحولات التي يُحدثها في طريقة تناول الموضوع.

**المطلب الثاني: مكانة بلحميسي في المدرسة التاريخية الجزائرية وأثره في الأجيال اللاحقة.**

**أولاً: السياق التأسيسي ـ الرهانات الكبرى لجيل ما بعد الاستقلال.**

عاد بلحميسي إلى الجزائر المستقلة عام **1962م** حاملاً تكويناً أكاديمياً رفيعاً من جامعات فرنسية عريقة، في وقت كانت فيه الجزائر تواجه تحديات جسيمة متعددة الأبعاد في بناء مؤسساتها التعليمية والبحثيةوقد التحق بالتدريس في جامعة الجزائر منذ عام **1966م**، ليكون من طليعة الكوادر الجزائرية التي تحملت مسؤولية بناء مؤسسات التعليم العالي بعد أن غادر معظم الأساتذة الفرنسيين.[1]

وقد سعت المدرسة التاريخية الجزائرية في مرحلة ما بعد الاستقلال إلى الكشف عن تاريخ الجزائر من خلال النخبة الوطنية المثقفة، إذ برزت مجموعة من المؤرخين الجزائريين أمثال أبي القاسم سعد الله ومحفوظ قداش وعبد الرحمن الجيلالي ومولاي **بلحميسي** وآخرين، حاولوا تصحيح تاريخ الجزائر وتحريره من الزيف الاستعماريوقد وضح الباحث سير بوسماي في دراسته حول العلامة عبد الرحمن الجيلالي دور المؤرخ الجزائري في هذه المرحلة بوصفه **"منقذ الذاكرة الجزائرية من براثن التشويه والتزوير الكولونيالي".**[2]

غير أن التحدي الأكبر لم يكن يكمن فقط في ملء الفراغ الذي خلّفه رحيل الأكاديميين الفرنسيين، بل في شيء أعمق وأخطر: كانت الجزائر المستقلة تمتلك مكتبة تاريخية مسمومة بالتحيزات الاستعمارية، وكان لا بد من مواجهة هذا الإرث المعرفي الثقيل ليس بالرفض العاطفي الغاضب بل بالبديل المعرفي الصارم والموثق. وقد أشار الباحث الطاهر بن خرف الله في كتابه حول الوسيط في

1 أحمد رنيمة، "مولاي بلحميسي (1930-2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر"، مرجع سابق، ص 289.

2 سير بوسماي، "العلامة عبد الرحمن الجيلالي، الشخصية الوطنية القومية (أكثر من قرن من العطاء والبذل)"، التواصلية، مج.1، ع.1، جامعة يحي فارس، المدية، جانفي 2015م، ص 12-18.

الدراسات الجامعية إلى أن التاريخ الجزائري **"يحتاج إلى إعادة بناء من الأساس وفق منهجية علمية صارمة لا مجرد إعادة صياغة للرواية القديمة بلغة مختلفة".**[1]

**ثانياً: إسهاماته التأسيسية في بناء المدرسة التاريخية**

- **أسهم بلحميسي في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة من خلال جملة من المنجزات المتكاملة التي يمكن تصنيفها في ثلاثة مستويات:**

1. **على مستوى التدريس والإشراف الأكاديمي:** أشرف على عشرات الرسائل الجامعية في موضوعات تاريخ الجزائر العثمانية والبحرية والتاريخ المحلي، غارساً في طلابه منهجية بحثية صارمة تقوم على العودة الدائمة إلى المصادر الأولية ورفض الاعتماد على المراجع الثانوية وحدها[2]،وقدتمثّلتهذهالمنهجيةفيقواعدواضحةكانيُلزمبهاطلابه:
نقدالمصدرلاقبولهلعلىعواهنه،ومقارنةالرواياتالمختلفةقبلالاستنتاج،والاعترافبالغموض وعدم اليقين بدلاً من فرض **"حقيقة موحدة واحدة".**
2. **على مستوى الإدارة الأكاديمية:** شغل بلحميسي منصب مدير معهد التاريخ ومدير معهد علم الآثار بجامعة الجزائر، وهي مناصب مكّنته من ترسيخ منهجيته ليس على المستوى الفردي فحسب، بل على مستوى البرامج الدراسية والمعايير البحثية الأكاديمية المؤسسية[3]،وقداستخدمهذهالمناصبلتطويرمناهججديدةتُدرجمقاييسمنهجيةالبحثالتاريخيوالتعاملمع الأرشيفكمادةإلزاميةلطلابالدراساتالعليا.
3. **على مستوى التمثيل الدولي:** أسهم بلحميسي في تمثيل الجزائر في المحافل الأكاديمية الدولية من خلال عضويته في الجمعية الدولية لمؤرخي البحر الأبيض المتوسط التي كان نائباً لرئيسها، وإسهامه في ندوات دولية في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وتونس والمغرب

---

1 سير بوسماي، "العلامة عبد الرحمن الجيلالي، الشخصية الوطنية القومية (أكثر من قرن من العطاء والبذل)"، التواصلية، مج.1، ع.1، جامعة يحي فارس، المدية، جانفي 2015م، ص 12-18.

2 الطاهر بن خرف الله، الوسيط في الدراسات الجامعية، ج.4، ط.1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م، ص 67.

3 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 313-314.

وليبيا[1]،وقدنشربعضأعمالهباللغةالفرنسيةفيمجلاتدوليةمحكّمة،كمقالهفي**Revuedesétu deshistoriques** **سنة 1986م**حول حصار الجزائر (**1827 ـ 1830م**).[2]

- **ثالثاً: نماذج من التكريم الأكاديمي شاهد على مكانة الإرث.**

من أبلغ الأدلة على عمق الأثر الذي تركه **بلحميسي** في المشهد الأكاديمي الجزائري تلك المبادرة التي أطلقتها جمعية الظهرة بمازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر في **جامعة وهران 1** بتنظيم ملتقى وطني علمي تحت عنوان "**مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة**"، وقد ركّز منظمو هذا الملتقى على محاور جوهرية تكشف عن طريقة تلقّي إرثه أكاديمياً: "**الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها مولاي بلحميسي، والعوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته العلمية، وأبرز مؤلفاته ودراساته وتقديم دراسات نقدية لها، وأهمية دراساته وأبحاثه في التأريخ للجزائر الحديثة والمعاصرة**".[3]

كما أطلق اسمه على المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية بولاية مستغانم، وعُقدت عدة ملتقيات وندوات علمية للتعريف بإنتاجه العلمي، من ذلك الندوة الفكرية التي نظّمتها المديرية الولائية للثقافة بمستغانم في جانفي **2015م** حول مساره العلمي بعنوان "**شهادات ومواقف**".[4]

وقد تجلّى أثر بلحميسي المنهجي في أعمال جيل لاحق من الباحثين الجزائريين، يُجسّده بشكل واضح عمل الباحث أحمد بحري في رسالته الدكتورية حول حاضرة مازونة في العصر الحديث (**1500 ـ 1900م**) التي قدّمها بجامعة **وهران 1 سنة 2013م**، والتي تُمثّل امتداداً بحثياً مباشراً لما أسّسه بلحميسي في "**تاريخ مازونة**"، غير أنها تعمّق التحليل وتُوسّع الإطار الزمني وتوظّف منهجيات أكثر تطوراً.[5]

---

1 المرجع نفسه، ص 294.

2 مولاي بلحميسي، "الجزائر ومرسيليا، بوابتان لعالمين في العصر العثماني"، في: المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة، أعمال الندوة الدولية السابعة والثلاثين، باريس، 1993م، ص 303-310.

3 مولاي بلحاميسي، "السجلات الكبرى في التاريخ: كتلة الجزائر (1827-1830)"، مراجعة الدراسات التاريخية، 1986.

4 إعلان الملتقى الوطني "مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة"، جمعية الظهرة-مازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران 1، 2015م.

5 فوزية لزغم، مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 3.

- **رابعاً: الأثر المنهجي في الأجيال اللاحقة.**

قياس أثر **بلحميسي** في الأجيال اللاحقة بعدد من اقتبسوا أفكاره مباشرة في حواشيهم ومراجعهم أمر مشروع لكنه قاصر، لأن الأثر الحقيقي أعمق وأشمل من ذلك بكثير: إنه يتجلى في التغيير الذي أحدثه في طريقة تفكير الباحثين الجزائريين في التاريخ وكتابته ومساءلته.

وقد لخّص الباحث نور الدين بلعربي هذا الأثر بعبارة دقيقة حين قال إن "**أي باحث جزائري حديث في التاريخ يعرف، سواء بوعي أو لا، أن الطريقة التي يكتب بها متأثرة بنموذج بلحميسي**" في الاهتمام بالتفاصيل المحلية، وتوظيف مصادر متنوعة فقهية وإدارية وأجنبية، والنقد العميق للمصادر بدلاً من قبولها دون فحص، والبحث عن "**أصوات مهمّشة**" بدلاً من الاكتفاء **بـ"الأصوات الرسمية".**[1]

والكتب قد تُصبع وتُعاد طباعتها، لكن التحوّل في آليات التفكير التاريخي ومعايير الموضوعية المنهجية يبقى راسخاً في الممارسة البحثية لأجيال كثيرة حتى حين لا تُشار إليه أو لا تُصرّح به، وقد أشار الباحث أحمد بن نعمان في دراسته حول سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية إلى أن المعرفة التاريخية الموضوعية تُشكّل أساساً لبناء الهوية الوطنية المتوازنة، وأن **بلحميسي** أسهم من خلال أعماله في "**تقديم نموذج للمعرفة التاريخية الموضوعية التي ترفع من مستوى الوعي الذاتي الجزائري دون أن تنزلق إلى الأسطرة أو التمجيد الفارغ".**[2]

- **خامساً: الثغرات الواعية ـ علامة النضج الفكري.**

من أكثر ما يكشف عن النضج الفكري الحقيقي عند **بلحميسي** هو وعيه المبكر والصريح بحدود مشروعه وثغراته. فقد أشار **بلحميسي** نفسه في مواضع متعددة من أعماله إلى ميادين لم يُشدّ فيها ما يكفي، وهي ميادين تركها "**ثغرات واعية**" يدعو الباحثين من بعده إلى ملئها: حياة النساء في المجتمع الجزائري العثماني لم تُجرَس بالتفصيل الكافي، وتاريخ الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية في

---

1 أحمد بحري، حاضرة مازونة: دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1، الجزائر، 2013م، مقدمة البحث.

2 د. نورالدين بلعربي، "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة"، مرجع سابق، ص 313.

الجزائر العثمانية لم يُبحَث بعمق، والطبقات الفقيرة والعبيد تحتاج دراسة مستقلة أعمق، والحياة الثقافية والفنية قد تحتاج إلى بحث متخصص.[1]

وهذا "**الترك المقصود للثغرات**" ليس اعترافاً بالقصور بقدر ما هو دعوة للاستمرارية البحثية فالمفكر الناضج يعرف أن "**لا أحد يستطيع أن يكتب كل شيء**"، وأن دوره في المشروع المعرفي الجماعي هو "**تأسيس الأساس**" الذي يبني عليه الآخرون لا سدّ كل الأفق. وهذا الموقف هو في حد ذاته درس منهجي بليغ يُقدّمه بلحميسي لطلابه وقرّائه: التواضع العلمي ليس ضعفاً بل هو شرط الحقيقة.

## نموذج تطبيقي: معالجة "رسالة القنصل دوفال" (1827) وفق منهجية مولاي بلحميسي

استجابةً لمتطلبات المعالجة العلمية للوثائق التاريخية، قمنا بإسقاط منهجية الأستاذ "مولاي بلحميسي" على وثيقة "رسالة القنصل دوفال"، وذلك من خلال معالجتها كنموذج تطبيقي يعكس تكامل الرؤية الأرشيفية مع التحليل التاريخي التداولي، وفق الخطوات التالية:

### 1. الوثيقة كفعل تواصلي مقصود:

عند التعامل مع رسالة دوفال، لم نعتبرها وثيقة محايدة، بل "فعلاً تواصلياً" استهدف التأثير. لقد قمنا بفرزها ضمن الأرشيف كوثيقة ذات مقصدية حجاجية، تهدف إلى توجيه الرأي العام الفرنسي وصناعة القرار السياسي في باريس.

### 2. إدراج الوثيقة في مقامها التاريخي:

وفقاً لمبدأ السياق عند بلحميسي، قمنا بربط الرسالة بـ "المقام" (حادثة المروحة) والزمن (1827). إن فهم ظروف إنتاج الرسالة هو ما جعلنا نضعها في ملفها الأرشيفي الصحيح، بعيداً عن التصنيفات الإدارية العامة، مما ضمن استرجاعها كجزء من سياق الأزمة وليس كوثيقة يتيمة .

---

1 أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، ط.1، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 145-152.

### 3. تحليل البنية الحجاجية والخطابية:

لقد أضفنا بعداً تحليلياً إجرائياً يتمثل في دراسة "الآليات الحجاجية" داخل الرسالة؛ حيث قمنا بتفكيك أساليب الاستمالة والعقلنة التي استخدمها دوفال. إن منهجية بلحميسي، حين تتوسع لتشمل تحليل "الافتتاح والختام"، تكشف لنا كيف تحولت الرسالة من مجرد مراسلة إلى أداة تبرير سياسي وتأثيري .

4. قياس الوظيفة التأثيرية اي النتائج

أظهر التطبيق العملي أن معالجة الوثيقة وفق هذا النموذج قد مكنتنا من فهم "قوة تأثيرها" في المتلقي (الحكومة الفرنسية). ومن الناحية الإجرائية، مكننا التصنيف الموضوعي والترميز الذي اقترحه بلحميسي من ربط هذه الرسالة بغيرها من المراسلات الدبلوماسية، وهو ما يمثل إضافة علمية تسمح للباحث برؤية "خريطة المراسلات" لا مجرد وثيقة منفردة.

والأعمق أثراً، لأنه لا ينتهي بصاحبه بل يمتد مع كل باحث جديد يتعلّم أن يسأل الأسئلة الصحيحة ويبحث عنها في المكان الصحيح: في الوثيقة والنص والأرشيف، لا في الخطاب الجاهز والأيديولوجيا المسبقة.

خلاصة الفصل الثالث :

أبرزت هذه الدراسة التطبيقية لمنهج مولاي بلحميسي في التعامل مع المصادر والوثائق التاريخية مجموعة من المبادئ المنهجية التي شكّلت جوهر مشروعه العلمي في كتابة التاريخ. فقد أثبت أن الموضوعية التاريخية لا تتحقق بمجرد الاعتماد على الوثيقة، بل من خلال إخضاعها للنقد والتحليل والمقارنة بين مختلف المصادر بهدف كشف التحيزات وإبراز الحقيقة التاريخية بصورة أكثر دقة. كما بيّن أن تحقيق النصوص والمخطوطات ليس مجرد عمل تقني، وإنما يمثل جهداً معرفياً يسهم في استعادة الذاكرة التاريخية والحفاظ على الهوية الوطنية من التشويه أو الضياع.

ومن جهة أخرى، أكد بلحميسي أهمية الاشتغال بالمصطلحات التاريخية، باعتبارها مدخلاً أساسياً لإعادة كتابة التاريخ، لأن تبني المصطلحات الاستعمارية يعني القبول الضمني بالرؤية الفكرية التي أنتجتها. كما أثبتت الشواهد الأكاديمية أن أثره العلمي لم ينته بوفاته سنة 2009م، بل استمر حضوره في الساحة البحثية الجزائرية من خلال الدراسات التي تناولت أعماله والملتقيات العلمية التي خُصصت لتكريم مسيرته. وبذلك يمكن القول إن مولاي بلحميسي ترك إرثاً علمياً ومنهجياً راسخاً جعله واحداً من أبرز المؤرخين الذين ساهموا في بناء الذاكرة التاريخية الجزائرية وترسيخ منهج وطني أصيل في كتابة التاريخ.

# الخاتمة

**بعد هذه الدراسة التاريخية الشاملة حول مولاي بلحميسي التي تناولت سيرته الحياتية وإسهاماته العلمية ومنهجه في الكتابة التاريخية، توصّلنا إلى جملة من النتائج والاستنتاجات يمكن إجمالها على النحو الآتي:**

- ✓ أثبتت الدراسة أن بلحميسي لم يكن مجرد مؤرخ يشتغل في برجه العاجي، بل كان صاحب مشروع فكري متكامل وُلد من رحم التحدي الاستعماري ونضج بأدوات العلم لا بخطاب المجاملة، وهو ما جعل أعماله تتجاوز حدود التأريخ الحدثي السطحي نحو البنيات العميقة للمجتمع الجزائري في العهد العثماني.
- ✓ دلّت نشأة **بلحميسي** في مازونة وفي سياق استعماري قاسٍ على أن الجغرافيا والتاريخ المحلي ليسا مجرد خلفية حياتية، بل أداتان معرفيتان حقيقيتان، فالمدينة التي شكّلت وعيه الأول ستصبح لاحقًا الموضوع الذي يختاره لأول كتبه الكبرى، في خطوة تُجسّد مبدأً منهجيًا عميقًا مفاده أن أفضل التاريخ هو الذي يبدأ من الشاهد الحي.
- ✓ أثبت مسار بلحميسي التعليمي الممتد من الكتاتيب القرآنية إلى جامعة بوردو أن الثنائية الثقافية حين تُستوعب بوعي نقدي لا استلاب ذاتي تتحول إلى ميزة منهجية استثنائية، إذ مكّنته من التعامل مع المصادر العربية والغربية بنفس الكفاءة والصرامة النقدية.
- ✓ كشفت الرحلة الأرشيفية الطويلة التي قضاها **بلحميسي** بين مرسيليا وبوردو وطولون وباريس عن نوع نادر من الصبر العلمي والتفاني البحثي لا يتأتى لمن لا يحمل إيمانًا راسخًا بقيمة الحقيقة التاريخية في ذاتها، وقد أثبت بذلك أن الأرشيف لا يُقرأ من وجهه بل من باطنه.
- ✓ أثبتت الدراسة التطبيقية لمنهجه المصدري أنه أسّس لما يمكن تسميته "فلسفة المصدر"، التي ترفض الاكتفاء بصنف واحد من المصادر وتقوم على النقد المتوازن لكل وثيقة بالتمييز بين مادتها الموضوعية وتأويلاتها الأيديولوجية.
- ✓ في مسألة المصطلح التاريخي، أثبت بلحميسي أن المعركة الحقيقية لإعادة كتابة التاريخ الجزائري لا تبدأ من الأحداث والوقائع، بل من المصطلحات التي تُسمّى بها هذه الأحداث، فكان نقده لمصطلح "القرصنة" وتأسيسه لمفهوم "**الجهادالبحري**" المدعوم بالوثيقة الأرشيفية نقطة تحول في الكتابة التاريخية الجزائرية بأسرها.



- ✓ أسهم **بلحميسي** في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة من خلال ثلاثة مستويات متكاملة: على مستوى التدريس والإشراف الأكاديمي، وعلى مستوى الإدارة الأكاديمية في معهد التاريخ ومعهد علم الآثار، وعلى مستوى التمثيل الدولي في الجمعيات العلمية المتخصصة في تاريخ المتوسط.
- ✓ لم يغادر بلحميسي الساحة البحثية الجزائرية حين رحل عام 2009م، بل أصبح جزءًا حيًا متجددًا منها، إذ لا تزال أعماله حاضرة في كل بحث جاد في مجال التاريخ الجزائري، مما يؤكد أن الإرث الحقيقي للمؤرخ ليس في عدد كتبه، بل في المنهج الذي يورّثه لمن بعده.
- ✓ وتجدر الإشارة في ختام هذا البحث إلى أن مشروع بلحميسي رغم ضخامته لا يزال يفتح أمام الباحثين آفاقًا بحثية خصبة لم تُستكمل بعد، في مقدمتها: حياة النساء في المجتمع الجزائري العثماني، وتاريخ الطبقات الفقيرة والعبيد، وتاريخ الأديان الأخرى في الجزائر العثمانية، فضلًا عن الحياة الثقافية والفنية التي تحتاج إلى بحث متخصص أعمق. وكل ذلك يجعل الإسهام في استكمال هذا المشروع واجبًا علميًا ووطنيًا في الوقت ذاته.

# الملاحق

**ملحق رقم ( 01 ): صورة توضيحية للمؤرخ مولاي بلحمسي، واعماله العلمية ( 1930 ـ 2009)**




صورة 1: المؤرخ مولاي بلحميسي (1930 – 2009)

صورة 2: نموذج من مؤلفاته (كتاب البحر والعرب في التاريخ والأدب)

صورة 3: مجموعة من مؤلفاته وأعماله

صورة 4: من نشاطاته العلمية وإلقاء المحاضرات

صورة 5: تكريم المؤرخ مولاي بلحميسي في إحدى الندوات العلمية



**الملحق رقم (02): نماذج لمدينة مازونة مسقط رأس مولاي بلحميسي**


مـازونـة
MAZOUNA



**الملحق رقم (03): نموذج من الوثائق التي درسها المؤرخ مولاي بلحميسي**



# قائمة المصادر و المراجع




- **أولاً: المصادر**

**أ. المصادر العربية الأولية والمخطوطات المحققة:**

1. **بلحميسي، مولاي**. غزوات عروج وخير الدين (مخطوط لمؤلف مجهول)، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه: نور الدين عبد القادر. الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1934م.
2. **البكري، أبو عبيد**. المسالك والممالك. تحقيق: أدريان فان لوفن وأندري فيري. ط1، ج2. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م.
3. **الإدريسي الشريف**. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1. ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.
4. **بربروس، خير الدين**. مذكرات خير الدين بربروس. ترجمة: دراج (محمد دراج).
5. **الزهار، الحاج أحمد الشريف**. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار.

- **ثانياً: المراجع.**

**أ. الكتب العربية:**

1. **أجقو، علي**. محاضرات في تاريخ مؤسسات الدولة الجزائرية (1514 ـ 1837م). ج1. ط2. مكتبة تابتيت، باتنة: الجزائر، 2010م.
2. **أبو القاسم سعد الله**. تاريخ الجزائر الثقافي. ج1 وج2. الجزائر: دار البصائر، 2007م.
3. **الإبراهيمي، محمد البشير**، آثار الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.
4. **بلحميسي، مولاي**. تاريخ مازونة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
5. **بلحميسي، مولاي**. تاريخ مستغانم من النشأة إلى اليوم. ط3. مستغانم: مطبعة الوائم، 2004م.
6. **بلحميسي، مولاي**. بحرية وبحارة الجزائر (1518 ـ 1830م). الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1996م. (ثلاثة أجزاء).
7. **بلحميسي، مولاي**. الجزائر وأوروبا والحرب السرية 1518 ـ 1830م، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1999م.

8. **بلحميسي، مولاي**. الأسطول البحري الجزائري 1516–1830م. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.
9. **بلحميسي، مولاي**. الجزائر مدينة الألف مدفع، الجزائر، 1990م.
10. **بلحميسي، مولاي**. الأسرى الجزائريون في أوروبا المسيحية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.
11. **بلحميسي، مولاي**. الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1980م. (طبعة أولى 1979–1980م).
12. **بن عبد الكريم البكر، خالد**. مهارات في قراءة النصوص التاريخية: تطبيقات على نماذج من التاريخ الإسلامي. ط1. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2018م.
13. **بن نعمان، أحمد**. السياسة التعليمية في الجزائر الاستعمارية. قسنطينة: دار البعث، 1984م.
14. **بن نعمان، أحمد**. سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية. ط1. الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، 2015م.
15. **بن خرف الله، الطاهر**. الوسيط في الدراسات الجامعية. ج4، ط1. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع، 2003م.
16. **بوعزيز، يحيى**. المقاومة الثقافية الجزائرية إبان الاستعمار، الجزائر: دار الأمة، 1999م.
17. **بوعزيز، يحيى**. موسوعة أعلام الجزائر في الحقبة الاستعمارية. ج1. الجزائر: دار الأمة، 1998م.
18. **بورونية، رشيد**. الآثار الإسلامية في الجزائر. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م.
19. **بوضرساية، بوعزة**. رواد المدرسة التاريخية الجزائرية. ط1. الجزائر: دار الحكمة، 2007م.
20. **الجيبالي، عبد الرحمن**. تاريخ الجزائر العام. ج3. بيروت: دار الثقافة، 1983م.
21. **سعيدوني، ناصر الدين**. الجزائر في العهد العثماني. الجزائر: دار الأمة، 1994م.
22. **عباد، صالح**. الجزائر خلال الحكم التركي 1514 ـ 1830م. الجزائر: دار الهدى، 2002م.
23. **قداش، محفوظ**. مذكراتي في السياسة والتاريخ والثقافة. الجزائر: دار القصبة للنشر، 2008م.
24. **قنان، جمال**. معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619–1830م)، ط1. الجزائر: دار هوكة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.

25. **قاسم نايت بلقاسم، مولود**. شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.

26. **المدني، أحمد توفيق**. حياة كفاح: مذكراتي. ج2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977م.

27. **نويهض، عادل**. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1982م.

- **ب . الكتب المترجمة:**

1. **أجيرون، شارل روبير**. تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: أبو العيد دودو، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

2. **أجيرون، شارل روبير**. الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 ـ 1919م)، ترجمة: مبارك الميلي. ج1. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

3. **بلوك، مارك**. دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة: أحمد الشيباني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010م.

4. **بروديبل، فرنان**. المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني، ترجمة: أحمد الشيباني. ج1. بيروت: عويدات للنشر، 2001م.

5. **بروديبل، فرنان**. الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية، ترجمة: أنطوان أبو زيد. ج1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998م.

6. **جوليان، شارل أندري**. تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: المنجي سليم وصالح الطيبي، ج2. تونس: الدار التونسية للنشر، 1978م.

7. **دي سرفانتيس، لويس ماتياس**. حياة الأسير في الجزائر، ترجمة وتحقيق: دحمن حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993م.

8. **شاخت، جوزيف**. مقدمة في الفقه الإسلامي، ترجمة: أبو بكر باقادر وأبو بكر أحمد باحاذق، الكويت: عالم المعرفة، 1985م.

9. **غينزبورغ، كارلو**. الجبن والديدان: كون مطحنة قروي في القرن السادس عشر، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. بغداد: دار المأمون، 1989م.

10. **غينزبورغ، كارلو**. خيوط وآثار: الحق والكذب والخيال،، ترجمة: أكرم البني. دمشق: دار نينوى، 2010م.

11. **كار، إدوارد هاليتكار**. ما هو التاريخ؟ ترجمة: بيار عقل، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983م.

12. **لوتورنو، روجي**. الحضارة الحضرية الكلاسيكية في إفريقيا الشمالية، ترجمة: عبد القادر زبادية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1989م.

13. **مراد، علي**. الإصلاح الإسلامي في الجزائر المعاصرة 1925 ـ 1940م، ترجمة: أحمد الشيباني، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1988م.

14. **هوبسبوم، إيريك**. عن التاريخ. ترجمة: صبحي حديدي. اللاذقية: دار الحوار، 1997م.

15. **الشينتوف، الطيب (Tayeb Chenntouf)**. المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر. ترجمة: أحمد بن طريف. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985م.

16. **سبنسر، وليام (ويليام سبنسر)**. الجزائر في عهد الرأيس: المشاكل والجزاء، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر. بيروت: دار الجليل، 1988م.

17. **وولف، جون (جون وولف)**. الرايبنة الجزائريون والقوى الغربية 1500 ـ 1830م، ترجمة: أحمد زكي بدوي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م.

18. **ده هايدو، دييغو (دييغو دي هايدو)**. توبوغرافيا وتاريخ الجزائر. ترجمة وتعليق: هنري ده غرامون، طبعة الجزائر، 1881م.

19. **لوبيت، برانر (برنارد ليبيتي)**. التاريخ المحلي ومشكلات التمثيل، في: التاريخ والعلوم الاجتماعية. ترجمة: هاشم صالح. اللاذقية: دار الحوار، 2005م.

20. **الوداني، بيير (بير لافيدان)**. تاريخ التخطيط العمراني. ترجمة: فتحي محمد مصيلحي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995م.

21. **صباغ الدرويش، ليلى**. الوطنية والمحلية في الكتابة التاريخية، ط1، دمشق: دار القلم، 1995م.

22. **لوغان، برنار (برنارد لوغان)**، تاريخ المغرب العربي: من البداية حتى اليوم، ترجمة: محمد حسين، الجزائر: دار الحكمة، 2011م.

- **ج ـ المقالات والدوريات.**

1. **بلحميسي، مولاي**. "المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني". مجلة الأصالة، ع14 ـ 15. الجزائر: ماي ـ جوان ـ جويلية ـ أوت 1973م.
2. **بلحميسي، مولاي**. "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني". مجلة الدراسات التاريخية، مج3، ع2. الجزائر: جوان 1988م.
3. **بلحميسي، مولاي**. "مدينة ورقلة في رحلة العياشي"، مجلة الأصالة، 1977م.
4. **بلحميسي، مولاي**. "السجلات الكبرى في التاريخ: كتلة الجزائر (1827 ـ 1830م)". مراجعة الدراسات التاريخية، 1986م.
5. **بلحميسي، مولاي**. "غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (948هـ/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية". مجلة الأصالة، 1972م.
6. **بلحميسي، مولاي**. "مدينة الملدية عبر العصور". مجلة الأصالة، 1971م.
7. **بلحميسي، مولاي**. "الجزائر ومرسيليا: بوابتان لعالمين في العصر العثماني". في: المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة. أعمال الندوة الدولية السابعة والثلاثين. مركز الدراسات العليا لعصر النهضة. باريس، 1993م.
8. **بلعربي، نور الدين**. "قراءة في منهجية الكتابة التاريخية عند مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال كتابه: الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مجلة عصور الجديدة، مج12، ع1. جامعة وهران 1، جويلية 2022م.
9. **حبش، فاطيمة**. "إسهامات المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ المحلي من خلال كتابه تاريخ مازونة". مجلة الحوار الثقافي، مج8، ع2، 2019م.
10. **رنيمة، أحمد**. "مولاي بلحميسي (1930 ـ 2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر". مجلة عصور الجديدة، مج2، ع3 ـ 4، 2012م. وأيضاً ع4 ـ 3، 2015م.
11. **سعيدوني، ناصر الدين**. "المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة: الروافد والمسالك". مجلة الدراسات التاريخية. جامعة الجزائر، ع7، 1999م.
12. **سعيدوني، ناصر الدين**، "المدن الساحلية الجزائرية في العهد العثماني: مقاربة مقارنة". مجلة التاريخ والحضارة المغاربية، ع8، 2000م.

13. **كرشالي، أمين**، "مصادر مولاي بلحميسي في كتابه حول البحرية والبحارة الجزائريين (1830–1518م)". مجلة عصور الجديدة.

14. **التميمي، عبد الجليل**، "البحث في التاريخ المغاربي: توجهات ومناهج"، المجلة التاريخية المغاربية، ع85–86، 1997م.

15. **التميمي، عبد الجليل**، "إسهامات المؤرخين المغاربة في كتابة تاريخ البحر الأبيض المتوسط"، المجلة التاريخية المغاربية، ع95 ـ 96، 1999م.

16. **التميمي، عبد الجليل**، "التعاون الأكاديمي المغاربي في مجال التاريخ: الواقع والآفاق"، المجلة التاريخية المغاربية، ع95–96، 1999م.

17. **التميمي، عبد الجليل**. "المقاومة الجزائرية للتوسع الإسباني في القرن السادس عشر". المجلة التاريخية المغاربية، ع65–66، 1992م.

18. **التميمي، عبد الجليل**. "إسهامات المؤرخين المغاربة في كتابة تاريخ البحر الأبيض المتوسط". ملتقى تاريخ المغرب العربي والعلاقات الدولية. زغوان، 1999م.

19. **الزبيري، محمد العربي**، "تطور التعليم العالي في الجزائر من الاستعمار إلى الاستقلال". مجلة التاريخ والحضارة المغاربية، ع5، 1995م.

20. **لزغم، فوزية**، "مساهمة مولاي بلحميسي في كتابة التاريخ العام للمدن الجزائرية على ضوء مقالاته بمجلة الأصالة". جامعة ابن خلدون تيارت.

21. **لشهب، مصطفى**، "المدرسة التاريخية الجزائرية وإشكالية الموضوعية والانتماء". مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع4، 2010م.

22. **عبيد، أحمد**، "التأريخ الجزائري: تقييم ونقد ـ حالة الجزائر العثمانية". مجلة إنسانيات، مركز البحث للأنثروبولوجيا. وهران، ع12، 2000م.

23. **عباد، صالح**، دراسة في المؤسسات التعليمية في العهد العثماني.

24. **بوضربة، عمر**، "السلطة الدينية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية: نماذج من الغرب الجزائري". مجلة الدراسات التاريخية. جامعة الجزائر، ع9، 2001م.

25. **حنيف، فضيلة**، "التعليم العربي الحر في الجزائر في عهد الاستعمار"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، ع18، 2002م.

26. **سير بوسماي**. "العلامة عبد الرحمن الجيلالي، الشخصية الوطنية القومية (أكثر من قرن من العطاء والبذل)"، التواصلية، مج1، ع1. جامعة يحي فارس، المدية، جانفي 2015م.

27. **الكيلاني، سامي**، "الأساطيل الأوروبية والإسلامية في المتوسط: دراسة مقارنة"، مجلة التاريخ العربي، ع12، 1999م.

28. **ميونييه، جيلبير (جيلبرت ماينييه)**. "التأريخ الجزائري في مواجهة إرثه الاستعماري". ترجمة: رشيد بوطيب. مجلة إنسانيات، مركز البحث للأنثروبولوجيا والاجتماعية والثقافية. وهران، ع28، 2005م.

29. **بوتيه، جيلبير**. "مقارنة بين الأساطيل الأوروبية والجزائرية في القرن السابع عشر". ريفو التاريخ البحري الفرنسي، ع18، 1965م.

30. **فونتو، ميشيل (ميشيل فونتيني)**. "القرصنة والكورس في القرن السابع عشر"، في: ملتقى تاريخ المتوسط في القرن السابع عشر. مرسيليا، 1991م.

- **د. الرسائل والمذكرات الجامعية.**

1. **بالساسي، خيرة**. مولاي بلحميسي وإسهاماته في تأطير المدرسة التاريخية الجزائرية. مذكرة ماستر. جامعة الوادي، 2016/2017م.

2. **بحري، أحمد**. حاضرة مازونة: دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500 ـ 1900م)، رسالة دكتوراه. جامعة وهران 1، الجزائر، 2013م.

3. **شوادر، مبارك**. الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671 ـ 1830م) في الأرشيف الوطني الجزائري. أطروحة دكتوراه. جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2020م.

4. **بليل، محمد**. جهود المؤرخ الجزائري المرحوم مولاي بلحميسي في التاريخ المحلي والوطني: قراءة في بعض مؤلفاته. جامعة ابن خلدون تيارت.

5. **بوطبة، لخضرة**. المؤرخ مولاي بلحميسي وجهوده في كتابة تاريخ الجزائر الحديث. مداخلة/بحث جامعي منشور.

6. **القرابصي، سيد أحمد**. شوامخ المؤرخين الجزائريين. دراسة مخطوطة.

- **هـ. أعمال الندوات والملتقيات.**

1. **بلحميسي، مولاي.** "الجزائر ومرسيليا: بوابتان لعالمين في العصر العثماني". في: المسيحيون والمسلمون في عصر النهضة. أعمال الندوة الدولية السابعة والثلاثين. مركز الدراسات العليا لعصر النهضة. باريس، 1993م.
2. **التميمي، عبد الجليل.** "المقاومة الجزائرية للتوسع الإسباني في القرن السادس عشر"، المجلة التاريخية المغاربية، ع65 ـ 66، 1992م.
3. **التميمي، عبد الجليل.** "إسهامات المؤرخين المغاربة في كتابة تاريخ البحر الأبيض المتوسط"، ملتقى تاريخ المغرب العربي والعلاقات الدولية، زغوان، 1999م.
4. **شويتن أرزقي.** "بيوغرافية مولاي بلحميسي من خلال مؤلفاته التاريخية". ندوة فكرية. مستغانم، أفريل 2015م، (نقلاً عن: محمد بليل، المرجع السابق).
5. **إعلان الملتقى الوطني "مولاي بلحميسي: سيرة ومسيرة".** جمعية الظهرة–مازونة بالتعاون مع مختبر تاريخ الجزائر. جامعة وهران 1، 2015م.

- **و ـ المصادر الأرشيفية والوثائقية (المستشهد بها في المذكرة):**

1. **دراسة "من سياسة الإبادة الفرنسية: محرقة غار الفراشين 19 جوان 1845م"**، منشورة على ASJP، ص3–5.
2. **دراسة "جريمة إبادة قبيلة أولاد رياح عام 1845م"**، منشورة على ASJP، ص7 ـ 9.
3. **شوادر، مبارك.** الحملات الأوروبية على الإيالة الجزائرية وانعكاساتها فيما بين (1671 ـ 1830م) في الأرشيف الوطني الجزائري. مرجع سابق، ص78 ـ 85.
4. **بلان، لوسيان (لوسيان بلانك)**، المعاهدات الجزائرية ـ الفرنسية 1619 ـ 1830م. منشورات المعهد التاريخي للبحر الأبيض المتوسط. إكس أن بروفانس، 1960م.
5. **بلحميسي، مولاي.** "السجلات الكبرى في التاريخ: كتلة الجزائر (1827 ـ 1830م)". مراجعة الدراسات التاريخية، 1986م، هذه تُضاف ضمن مقالات بلحميسي.
6. **توماس براوو موراليس (توماس برافو موراليس).** إسبانيا والجزائر: الصراع المتوسطي في القرن السادس عشر. مد ريد، 1978م، ص145 ـ 152، (نقلاً عن بلحميسي: الجزائر وأوروبا والحرب السرية، ص221).

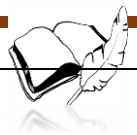
# قائمة

# المحتويات

# قائمة المحتويات




| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| **بسملة** | |
| **الشكر و التقدير** | |
| **الإهداء** | |
| **قائمة المختصرات** | |
| **مقدمة** | **15** |
| **الفصل الأول:السيرة الحياتية و المسار الأكاديمي لمولاي بلحميسي** | **49 – 19** |
| **المبحث الأول: النشأة و التكوين العلمي الأولي** | **21** |
| **المطلب الأول: مولده ونشأته الاجتماعية (لمحة موجزة عن بيئته)** | **22** |
| - **أولاً**: تاريخ ومكان الميلاد | **22** |
| - **ثانياً**: مدينة مازونة – الموقع والتاريخ في الفترة الحديثة (1518 . 1830م) | **23** |
| - **ثالثاً**: الظروف الاستعمارية إبان ميلاد بلحميسي وتأثيرها في تشكيل الوعي | **25** |
| **المطلب الثاني: مراحله التعليمية الأولى** | **26** |
| - **أولاً**: التعليم القرآني التقليدي | **27** |
| - **ثانياً**: المرحلة الابتدائية | **28** |
| - **ثالثاً**: المرحلة الثانوية في تلمسان | **29** |
| **المبحث الثاني: التكوين الجامعي والشهادات العليا** | **31** |
| **المطلب الأول: دراسته الجامعية وتخصصه في التاريخ** | **32** |
| - **أولاً**: الدراسة في معهد الدراسات العليا الإسلامية | **32** |
| - **ثانياً**: الدراسة في جامعة الجزائر والتكوين المنهجي | **33** |
| - **ثالثاً**: الأساتذة وأثرهم في التكوين المنهجي | **33** |
| 1. ماريوس كنار (ماريوس كانارد) | **34** |




| | |
|---|---|
| 2. روجي لوتورنو (روجر لو تورنو) | **34** |
| - **رابعاً**: الحصول على الإجازة وأهميتها المزدوجة | **35** |
| **المطلب الثاني: رحلته العلمية إلى فرنسا وحصوله على الدكتوراه** | **35** |
| - **أولاً**: المنحة الدراسية والالتحاق بجامعة إيكس أون بروفانس | **35** |
| - **ثانياً**: دكتوراه الدرجة الثالثة (1972م): التحقيق موقفاً معرفياً | **36** |
| - **ثالثاً**: البحث في الأرشيفات الأوروبية – الرحلة الاستثنائية | **37** |
| - **رابعاً**: دكتوراه الدولة (1986م) – المشروع البحثي الكبير | **38** |
| **المبحث الثالث: حياته المهنية ونشاطه العلمي** | **40** |
| **المطلب الأول: وظائفه (التدريس بجامعة الجزائر، المناصب الإدارية)** | **40** |
| - **أولاً**: بداية التدريس في جامعة الجزائر والسياق التأسيسي | **40** |
| - **ثانياً**: المقررات الدراسية وأبعادها المنهجية (تكملة) | **41** |
| - **ثالثاً**: الإشراف على الرسائل الجامعية وأثره في تكوين جيل بحثي | **43** |
| - **رابعاً**: المناصب الإدارية وأثرها المؤسسي | **44** |
| 1. مدير معهد علم الآثار | **44** |
| 2. مدير معهد التاريخ بجامعة الجزائر | **44** |
| **المطلب الثاني: عضويته في الهيئات العلمية الوطنية والدولية** | **45** |
| - **أولاً**: الهيئات العلمية الوطنية | **45** |
| **1**. لجنة كتابة التاريخ الوطني | **45** |
| **2**. المجلس العلمي للمعهد الوطني للآثار | **45** |
| - **ثانياً**: الهيئات العلمية الدولية والحضور الأكاديمي العالمي | **46** |
| **1**. الجمعية الدولية لمؤرخي البحر الأبيض المتوسط | **46** |
| **2**. رئيس جامعة المغرب العربي | **47** |
| **3**. المشاركات في الملتقيات والندوات الدولية | **47** |
| - **ثالثاً**: الوفاة والإرث العلمي والمؤسسي | **47** |

| | |
|---|---|
| **خاتمة الفصل الأول** | **48** |
| **الفصل الثاني: الفصل الثاني: إسهامات مولاي بلحميسي في تدوين التاريخ المحلي والبحري للجزائر** | **74 – 51** |
| **المبحث الأول: جهوده الرائدة في تأسيس التاريخ المحلي لمنطقة الظهرة** | **52** |
| **المطلب الأول: كتاب "تاريخ مازونة" (1981م) ـ ثورة في منهجية البحث المحلي** | **53** |
| - **أولاً**: منهجية الاستنطاق الذكي للنوازل الفقهية وأبعادها المعرفية | **54** |
| - **ثانياً**: الدور المزدوج لمازونة في العهد العثماني بالحاضرة العلمية والسياسية | **56** |
| - **ثالثاً**: البنية الحضارية والعمرانية لمازونة بوصفها وثيقة تاريخية | **57** |
| **المطلب الثاني: كتاب "تاريخ مستغانم" (1982م) – من العلم إلى السيف** | **59** |
| - **أولاً**: معركة مزغران (1558م) – ملحمة الصمود والكرامة في السياق العثماني | **59** |
| - **ثانياً**: ثنائية المدينة والثكنة والسوق في مستغانم العثمانية | **60** |
| - **ثالثاً**: العمارة كشاهد حي على التاريخ الاجتماعي والسياسي | **61** |
| **المبحث الثاني: الرؤية الكبرى – إعادة بناء تاريخ البحرية الجزائرية** | **62** |
| **المطلب الأول: ثلاثية البحرية (1986–1999م) – إعادة تعريف التاريخ البحري الجزائري** | **63** |
| - **أولاً**: الجدل المفاهيمي الكبير من "القرصنة" إلى "الجهاد البحري" | **63** |
| - **ثانياً**: الأسطول – من السفن إلى الرجال | **66** |
| - **ثالثاً**: دراسة المعاهدات الدولية بوصفها وثائق شرعية للبحرية الجزائرية | **68** |
| **المطلب الثاني: تحقيق النصوص والرحلات – البحث الدقيق والمنهج النقدي** | **69** |

| | |
|---|---|
| - **أولاً**: الرحلات المغاربية – صوت الشهود المحليين في العهد العثماني | **69** |
| - **ثانياً**: ملف الأسرى والعبودية – إعادة توازن السرد التاريخي | **71** |
| - **ثالثاً**: الأبعاد المعرفية والسياسية لتحقيق النصوص | **72** |
| **خاتمة الفصل الثاني** | **72** |
| **الفصل الثالث: دراسة تحليلية لمنهج بلحميسي في الكتابة التاريخية** | **76** |
| **المبحث التمهيدي: خريطة الإنتاج الكتابي لبلحميسي ومساراته المنهجية** | **77** |
| **المطلب الأول: الإنتاج المتنوع بين الكتاب والمقالة** | **77** |
| **المطلب الثاني: إسهامات بلحميسي في مجلة الأصالة وأبعادها المنهجية** | **79** |
| **المبحث الأول: المنهج المصدري والوثائقي عند بلحميسي (دراسة تحليلية)** | **80** |
| **المطلب الأول: كيف وظّف الأرشيف الفرنسي لإدانة الاستعمار؟ (نموذج تطبيقي: وثائق محرقة الظهرة 1845م)** | **80** |
| - **أولاً**: الإطار المنهجي العام لتعامل بلحميسي مع الأرشيف الأوروبي | **80** |
| - **ثانياً**: رحلة بلحميسي بين الأرشيفات الأوروبية | **81** |
| - **ثالثاً**: نموذج تطبيقي – وثائق محرقة الظهرة 1845م | **82** |
| - **رابعاً**: المصادر العربية المحلية – الطرف المكمل | **83** |
| **المطلب الثاني: منهجه في تحقيق النصوص (نموذج تطبيقي: مخطوط غزوات عروج وخير الدين)** | **84** |
| - **أولاً**: فلسفة التحقيق – لماذا النص قبل التاريخ؟ | **84** |
| - **ثانياً**: مخطوط غزوات عروج وخير الدين – التعريف والسياق | **85** |
| - **ثالثاً**: مراحل عمل بلحميسي في التحقيق | **86** |

| | |
|---|---|
| - **رابعاً**: الأبعاد المعرفية والسياسية لتحقيق النصوص | **87** |
| **المبحث الثاني: تفكيك المفاهيم الاستعمارية وتصحيحها، ومكانة بلحميسي في المدرسة التاريخية الجزائرية** | **88** |
| **المطلب الأول: من "القرصنة" إلى "الجهاد البحري" ـ دراسة تحليلية لنصوص بلحميسي** | **88** |
| - **أولاً**: تشريح المشكلة المفاهيمية | **88** |
| - **ثانياً**: البنية الحجاجية لإعادة التعريف | **89** |
| - **ثالثاً**: البعد الإنساني – البحارة بوصفهم شخصيات تاريخية | **90** |
| - **رابعاً**: تقييم نقدي موضوعي | **91** |
| **المطلب الثاني: مكانة بلحميسي في المدرسة التاريخية الجزائرية وأثره في الأجيال اللاحقة** | **91** |
| - **أولاً**: السياق التأسيسي – الرهانات الكبرى لجيل ما بعد الاستقلال | **91** |
| - **ثانياً**: إسهاماته التأسيسية في بناء المدرسة التاريخية | **92** |
| - **ثالثاً**: نماذج من التكريم الأكاديمي شاهد على مكانة الإرث | **93** |
| - **رابعاً**: الأثر المنهجي في الأجيال اللاحقة | **94** |
| **خامساً: الثغرات الواعية ـ علامة النضج الفكري** | **95** |
| **خاتمة الفصل الثالث** | **96** |
| **الخاتمة** | **99** |
| **الملحق** | **102** |
| **قائمة المصادر و المراجع** | **106** |
| **قائمة المحتويات** | **116** |
| **ملخص الدراسة** | **122** |

# ملخص الدراسة

## ملخص الدراسة



**تتناول هذه الدراسة المندرجة ضمن متطلبات** الحصول على شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب الحديث شخصيةَ المؤرخ الجزائري البروفيسور محمد مولاي**بلحميسي(1518. 1830)**، بوصفه نموذجاً فريداً في الكتابة التاريخية الجزائرية خلال مرحلة ما بعد الاستقلال، تلك المرحلة التي واجهت فيها المؤسسة الأكاديمية الجزائرية تحدياً مزدوجاً: بناء تاريخ وطني موثوق في مواجهة الإرث الاستشراقي المتحيز من جهة، ومقاومة الضغوط الأيديولوجية للخطاب الوطني الرسمي من جهة أخرى.

**تتمحور إشكالية الدراسة حول تساؤل جوهري مفاده:** ما الذي يميّز مشروع مولاي بلحميسي التاريخي منهجياً وفكرياً عن سائر مؤرخي جيله؟ وكيف استطاع أن يوظّف التكوين الأكاديمي الغربي في خدمة الموضوع التاريخي الجزائري دون الانسياق لمنطلقاته الأيديولوجية؟ وما القيمة العلمية لإسهاماته في تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية مستقلة؟

**تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:** رصد السيرة الحياتية والمسار الأكاديمي للمؤرخ ضمن سياقه التاريخي، وتحليل إسهاماته في تدوين التاريخ المحلي والبحري للجزائر، والكشف عن المنهجية البحثية التي اعتمدها في التعامل مع المصادر المتنوعة. كما تهدف إلى تفكيك المفاهيم الاستعمارية التي أحاطت بالتاريخ الجزائري وتصحيحها على ضوء الوثيقة والأرشيف، وإبراز مكانة **بلحميسي** في المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة وأثره في الأجيال اللاحقة.

**اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي** النقدي الذي يجمع بين استقراء المصادر الأولية وتحليلها ونقدها، مع توظيف المقاربة البيوغرافية في الفصل الأول ومقاربة تحليل الخطاب التاريخي في الفصلين الثاني والثالث.

**قُسّمت الدراسة على ثلاثة فصول رئيسية؛ تناولالفصل الأول** السيرة الحياتية والمسار الأكاديمي لمولاي**بلحميسي** منذ ولادته في مدينة مازونة بمنطقة الظهرة عام **1930م**، مروراً بتكوينه في الكتاتيب القرآنية والمدارس الفرنسية وصولاً إلى جامعتَي الجزائر وإيكس أون بروفانس، وحصوله على دكتوراه الدولة من جامعة بوردو الثالثة عام **1986م**. وأبرز هذا الفصل كيف أن الثنائية الثقافية التي عاشها المؤرخ تحوّلت من وضع إشكالي إلى ميزة منهجية استثنائية مكّنته من التعامل مع المصادر العربية والأوروبية بالكفاءة ذاتها.

**وعالج الفصل الثاني** إسهامات بلحميسي في تدوين التاريخ المحلي والبحري للجزائر من خلال تحليل أعماله الكبرى، لا سيما كتاب "**تاريخ مازونة**" الذي وظّف فيه النوازل الفقهية مصدراً للتاريخ



الاجتماعي والاقتصادي، وكتاب "**تاريخ مستغانم**" الذي درس من خلاله ثنائية المدينة الساحلية بين الدور العسكري والحضاري، فضلاً عن سلسلة أعماله الضخمة في تاريخ البحرية الجزائرية خلال الفترة العثمانية (**1518–1830م**) التي استلزمت رحلة أرشيفية استثنائية في مكتبات فرنسا وأوروبا امتدت لأكثر من عقد.

**أما الفصل الثالث فقد أجرى** دراسة تحليلية للمنهج البلحميسي، تناول فيها المنهج المصدري والوثائقي من خلال نماذج تطبيقية كنموذج وثائق محرقة الظهرة 1845م، وتحقيق مخطوط "**غزوات عروج وخير الدين**"، ثم عرض لأبرز اجتهاداته في تفكيك المفاهيم الاستعمارية كمعركة مصطلح "القرصنة" ورده عليها بمفهوم "الجهاد البحري" المدعوم بمنظومة حجاجية وثائقية متماسكة.

**خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج العلمية أبرزها:** أن مولاي**بلحميسي** أسّس لفلسفة مصدرية قائمة على ثلاثة مبادئ متكاملة هي التعددية المصدرية والنقد المتوازن والتوظيف المعرفي الهادف؛ وأن إحياء النصوص التاريخية وتحقيقها يمثّل فعلاً سياسياً ومعرفياً في آن واحد لا عملاً تقنياً جافاً؛ وأن المعركة الحقيقية لإعادة كتابة التاريخ تبدأ من المصطلح لا من الحدث؛ وأن الثنائية الثقافية حين تُستوعَب بوعي نقدي تتحوّل إلى ميزة منهجية لا إلى عائق. وقد رسّخ بلحميسي مدرسة تاريخية جزائرية تؤمن بأن أفضل رد على الرواية الاستشراقية هو توظيف أدواتها المنهجية ذاتها لتفكيك مقولاتها، وهو ما يجعله بحق معماراً للذاكرة التاريخية الجزائرية.

# Summary in English

This study, submitted in partial fulfillment of the requirements for a Master's degree in Modern Maghreb History, examines the intellectual and academic career of the Algerian historian Professor Mohammed Moulay Belhamisi (1530–1830). Belhamisi represents a singular model in post-independence Algerian historiography, at a time when Algerian academic institutions confronted a dual challenge: constructing a credible national history against the backdrop of a biased orientalist legacy on the one hand, and resisting the ideological pressures of official nationalist discourse on the other.

The central problematic of this research revolves around the following key questions: What distinguishes Belhamisi's historical project methodologically and intellectually from that of his contemporaries? How did he manage to employ Western academic training in the service of Algerian historical inquiry without succumbing to its ideological premises? And what is the scientific value of his contributions to the establishment of an independent Algerian school of historical writing?

The study aims to map the biographical trajectory and academic career of the historian within his full historical context; to analyse his contributions to local and maritime history; to examine the research methodology he employed in dealing with diverse and multilingual sources; to deconstruct the colonial concepts that surrounded Algerian history and correct them through the evidence of documents and archives; and to

illuminate Belhamisi's position within contemporary Algerian historiography and his lasting influence on subsequent generations of scholars.

The study adopts the analytical-critical historical method, combining the inductive examination of primary sources with their analysis and critique, and employing a biographical approach in the first chapter alongside a historical discourse analysis framework in the subsequent chapters.

The study is organized into three main chapters. The first traces Belhamisi's life and academic formation from his birth in the city of Mazouna in the Dahra region in 1930, through his education in Quranic schools and French colonial institutions, to his studies at the University of Algiers and the University of Aix-en-Provence, culminating in his State Doctorate from the University of Bordeaux III in 1986. This chapter demonstrates how the cultural duality Belhamisi experienced was transformed from a problematic condition into an exceptional methodological advantage, enabling him to engage with Arabic and European sources with equal scholarly proficiency.

The second chapter examines Belhamisi's contributions to the documentation of Algerian local and maritime history through a critical analysis of his major works. Particular attention is given to his History of Mazouna, in which he employed juridical responsa (nawāzil) as a primary source for social and economic history, and his History of Mostaganem, through

which he studied the coastal city's dual military and civilizational roles. The chapter also addresses his monumental series on Algerian naval history during the Ottoman period (**1518–1830**), which required an exceptional archival journey through the libraries and archives of France and Europe spanning more than a decade.

The third chapter constitutes an applied analytical study of Belhamisi's historiographical method. It examines his documentary and source-critical methodology through case studies such as the documents on the **1845** Dahra massacre and his critical edition of the manuscript Ghazawāt 'Arūj wa Khayr al-Dīn. It further analyses his deconstruction of colonial concepts, most notably his challenge to the term "**piracy**" and his counter-proposition of "**naval jihad**," supported by a coherent and well-documented argumentative framework.

The study concludes with several significant findings: that Moulay Belhamisi established a source philosophy grounded in three complementary principles, namely source plurality, balanced criticism, and purposive epistemological deployment; that the critical editing and reviving of historical texts constitutes simultaneously a political and epistemological act rather than a merely technical exercise; that the genuine battle for the rewriting of history begins with terminology rather than events; and that cultural duality, when internalized through critical awareness, becomes a methodological asset rather than an

obstacle. Belhamisi ultimately consolidated an Algerian school of historical writing grounded in the conviction that the most effective response to the orientalist narrative is to employ its very methodological instruments to dismantle its assumptions. This makes him, in the fullest academic sense, an architect of Algerian historical memory.

**Keywords**: Moulay Belhamisi ـ Algerian historiography ـ Ottoman Algeria ـ local history ـ maritime history ـ historical methodology ـ source criticism ،، post-colonial history.